الأعمال الشعرية الكاملة

إبراهيم طوقان



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٨/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع: عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الثانية
١٩٩٣

نظرة في شعر ابراهيم طوقان

بقلم : إحسان عباس

لا شك في أن ابراهيم طوقان أكبر شاعر أنجبته فلسطين حتى أواخر العقد الرابع من هذا القرن . وقد خضع ابراهيم في نظرته إلى الشعر وفي تصوره لطبيعته لمبدأين نقديين كان لهما أثرهما العميق في توجيه شعره نفسه . أما المبدأ الأول فقد عبّر عنه بقوله : « الشعر نكتة ، قد يحسن الشاعر قولها وقد لا يحسن ، وقد (يلقطها) القارىء أو السامع وقد تفوتهما ، وكما أن الانسان لا يجوز أن يحكم عليه بمخالطة في جلسة أو جلستين فكذلك لا يجوز أن يحكم على الشعر بقصيدة او قصيدتين »[1] . أما المبدأ الثاني فهو إيمانه أن الشعر « عبارات نثرية موزونة لا أثر لكد الخاطر عليها ، بل اتفق لها هي . . . أن تكون موزونة »[2] .

وهذان المبدآن يصلان ابراهيم بالشعر الانجليزي وصلاً وثيقاً ؛ فأما المبدأ الأول « الشعر نكتة » فلست أجد فيه سوى تصوُّر محلِّيٍ لما

(١) نقلاً عن بعض مسودات ابراهيم ، وانظر : شاعران معاصران للدكتور عمر فروخ ، ص : ٨١ ، ط . بيروت ١٩٥٤ .

(٢) شاعران معاصران : ٧٨ .

توحي به لفظة «Wit» الانجليزية ، وهي لفظة يعز إيجاد معنى دقيق واحد للدلالة عليها ، وربما كان التعبير عنها بقوة اللمح مناسباً ، فهي قوة تمكن صاحبها من أن يلمح العلاقات الدقيقة بين أمور تبدو في ظاهرها متباعدة ، ثم يكون من نتيجة ذلك الربط غير المتوقع إثارة السرور والمفاجأة . وقد كان ابراهيم يركِّز في هذه الناحية على الأثر ، معتمداً أن تكون إثارة السرور عن طريق المفاجأة المضحكة ، أي أنه حين استعمل كلمة « نكتة » في تصوره للشعر كان يشير إلى روح الفكاهة أو السخرية التي قد تنطلق من الطريقة في التعبير ، أو من البناء الكلّي للقصيدة . وقد حاول الدكتور فروخ أن يحدد النكتة في قول ابراهيم بأنها « وثبة الفكر وانطلاقة الخيال إلى القول البارع الجامع لا مجرد الدعابة أو محض التظرف والتندُّر » ، وهو في هذا على حق إذا اعتبرنا الأصل الفني في قوة اللمح ، ولكن أخشى أن يجد من يتصفّح شعر ابراهيم أن « النكتة » كانت تعني لديه أحياناً جميع المراحل الممكنة من إثارة المفاجآت البارعة ، حتى ولو تيسر ذلك باستخدام التعبير العامي المضحك ، ليكون مضحكاً ومفاجئاً في آن .

وأما المبدأ الثاني فإنه صورة ما كانت تنادي به الحركة الشعرية منذ ظهور الشاعر الارلندي وليم بطلر ييتس ، فقد قال هذا الشاعر في ثورته على الأسلوب الشعري الذي كان سائداً من قبل : « أردنا ان نتخلص لا من الخطابية البيانية وحسب بل من القاموس الشعري . حاولنا أن نخلع كلَّ ما هو مصطنع وأن نؤثر اسلوباً يشبه الحديث العادي ، بسيطاً كأبسط أنواع النثر ، كأنه صرخة صاعدة من القلب » .

وإنما وصلت هذين المبدأين بالشعر الانجليزي ، لأن ابراهيم قرأ ـ ولا بد ـ نماذج كثيرة من ذلك الشعر ، وعرف مصطلح «Wit» على نحو ما ، وعاش في فترة كان ما يزال فيها أثر المدرسة الشعرية التي ترسمت دعوة ييتس قوياً واسع الذيوع ؛ وصلته بالأدب الأجنبي أمرٌ تشير اليه دلائل كثيرة ، ففي مسوّداته قصيدة مترجمة عن هايني ، كما أنَّ قصيدة « مصرع بلبل » ناظرة إلى قصة « البلبل والوردة » لأوسكار وايلد ؛ كذلك فإنه نشر في أحد أعداد جريدة (المعرض) مقالة حول قصيدة « رؤيا الدينونة » Vision of Judgement لبيرون التي يرد فيها على شاعر البلاط الانجليزي في عصره « روبرت سذي » . ولعلَّ هذا المثل الأخير يؤكِّد مفهوم ابراهيم للنكتة ، فإنَّ قصيدة بيرون ليست سوى « نكتة كبيرة » أدارها للتندر على شاعر البلاط المذكور .

غير أن هذا الربط بين تصوُّر ابراهيم للشعر وثقافته الغربية لا يعني أنه خرج بهذين المبدأين عن سياق النقد العربي ؛ فقول ابراهيم إن الشعر نكتة يؤكد أنه استمرارٌ ـ على نحو غير متعمّد ـ لمدرسة ابن دانيال والجزّار والسراج الورّاق ، وهم شعراء استغلوا قوة اللمح لديهم ، بتصوير المفارقة القائمة بينهم وبين مجتمعهم على نحو ضاحك ساخر ؛ وقد سلك ابراهيم في شعر المجون طريقهم بل ربما أربى عليهم ، ولكنه انفصل عنهم إلى حدّ كبير ، حين سخّر قوة اللمح لديه للكشف عن خلل الأوضاع السياسية والاجتماعية . فكانت « النكتة » رابطة بينه وبينهم ، إلا أنَّ تباين الغاية جعل الفرق بينه وبينهم كبيراً ؛ وهذا وحده يدلُّ على نقص في تعريف ابراهيم للشعر ؛ فإن « النكتة » ليست دائماً على مستوىً واحد من القدرة على

المفاجأة وإثارة السرور ، فقد تكون في خدمة الهجاء الفردي (كما هي في مبتدعات ابن الرومي) وقد تكون في خدمة الاصلاح الاجتماعي ، فأيّ هذين المستويين أقرب الى حقيقة الشعر ؟

وأما قول ابراهيم إن الشعر « عبارات نثرية موزونة لا أثر لكدّ الخاطر عليها » فإنما هو اعادة لأقدم النظريات النقدية عند العرب حول ما يسمّى شعر الطبع ، وفيه ترديد لذلك التقارب الذي آمن به نقاد العرب بين فني النظم والنثر ، وفيه التقاء تام مع قول أبي حيان التوحيدي : « خير الكلام ما قامت صورته بين نظم كأنه نثر ، ونثر كأنه نظم »[٣] . وهذا المبدأ يكفل العفوية - أو صورتها الخارجية - في التعبير الشعري ، كما يكفل « الشعبية » التي تجعل الشعر قريباً من الجماهير ، وهي مطلب كان يحرص عليه ابراهيم بشدة ، وكان يتأتى له من جميع الطرق الممكنة مثل البساطة واستعمال التعبيرات الشائعة واختيار الموضوع الملائم واستغلال اللمح والنكتة وما إلى ذلك من وسائل . وقد استطاع ابراهيم من خلال الربط بين قانونه النثري ومبدأ النكتة ان يجعل جانباً كبيراً من شعره غذاء للشعب سواء في لحظات الراحة والمتعة او في لحظات الثورة والنضال . على أن القول بأن الشعر عبارات نثرية موزونة لا يفسِّر ايضاً طبيعة الشعر تفسيراً شمولياً ، فقول ابراهيم :

أنتم العاملون من غير قول بارك الله في الزنود القويه

(٣) الامتاع والمؤانسة ٢ : ١٤٥ .

عبارة نثرية قائمة على سخرية عميقة في مخاطبة الزعماء الفلسطينيين ، بل إن الشطر الثاني من البيت كان يتردّد على كل لسان في نطاق الحديث اليومي قبل أن ينقله ابراهيم إلى الشعر ؛ كما أن قوله :

يلذ لي يا عين أن تسهدي   وتشتري الصفو بطيب الكرى
ألم تري طير الصبا في يدي   أخشى على الغفلة أن ينفرا

عبارات نثرية كذلك ، ولكن شتان بين العبارة النثرية الأولى والمجموعة الثانية من العبارات في العمق ، وفي طبيعة التأثير ، وفي « الرضى » الفنّي ، وفي « طبيعة » اللحن الشعري . أليس يحتاج مثل هذا الحكم النقدي إلى ضوابط تميز فيه مستويات مختلفة ايضاً ؟

وقد امتد أثر هذين المبدأين النقديين الى أكثر ما يتصل بموقف ابراهيم من شعر الآخرين وإلى تطوُّر شعره : أما أثرهما في موقفه من شعر الآخرين فإنه جعله يتجاوب مع كل شعر يمكن أن يرتدَّ الى هذين المبدأين ، وإذا استثنينا إعجابه بالمتنبي وشوقي (وهو إعجاب يمثل تجاوز الذات إلى قيم خارج نطاقها) فإن أكثر من انجذب الى أشعارهم إنما يمثلون هذا التيار الثنائي ، وخير مَثَل على ذلك شاعره المفضل : العباس ابن الأحنف ، فإن اعجابه به لا يقف عند حدّ موضوع الغزل وانما هو في أساسه قائم على قوة اللمحات الذكية الدالة والمفارقات الذهنية المفاجئة في شعر ذلك الشاعر . ومن عجب أن ابراهيم لم يكتشف ابن الرومي ، ولو فعل لكان لاتجاهه الشعري شأن آخر . أما الذين كرههم من الشعراء فإنما وجد نفسه بعيداً عنهم

لأنهم هم أنفسهم كانوا بعيدين عن الانقياد لهذين المبدأين الكبيرين ؛ وحين ذكر شاعر البلاط الانجليزي ومدى برودة شعره ونشوفته تذكر أحمد زكي أبو شادي وقال : « وأمثال هذا الشاعر بلاء من الله لا بد لكل لغة أن تبتلى به وتستعين عليه بصبر أيوب عليه السلام ، ومنا لأخينا الدكتور أحمد زكي أبو شادي فائق الاحترام » . وهذا مختلف في طبيعته عن حملته على شعراء مصر ، إذ كانت هذه الحملة منه استنكاراً لسكوتهم عن قضية فلسطين والتحدث الى المشاعر العربية حولها .

وحين نرصد أثر ذينك المبدأين في تطوُّر شعر ابراهيم نقع على حقيقة خطيرة ، لا يكشف عنها أبداً المنهج الذي سلكه دارسو شعره في تقسيمه الى موضوعات ، فذلك منهج مختلّ لأنه يقف بمعزل عن تتبع شعره على نحو زمني متدرّج ، وتفيد الدراسة التطورية أنَّ شعر ابراهيم بلغ ثلاث ذرى متعاقبة : ذروة الحب ، وذروة الشهوة ، وذروة المشكلة الوطنية . لقد كانت هذه التيارات متجاورة في نفسه ، ولكن الحبَّ كان هو القوة العاتية منذ أن فجرته في صدره فتاة كفركنه (١٩٢٤ ـ ١٩٣٢) وقد كانت الموضوعات الأخرى تقتبس من لهبه إذا شاءت أن تعيش الى جواره . غير أن تطوُّر هذا الحبّ الى ان يقترن بالموت بعد التعرُّف الى مرغريتا الراقصة الاسبانية التي قال فيها ابراهيم ـ أو لخص في عهدها ـ أروع ما يمكن أن يبلغه اجتماع الحب والموت في نطاق ، في قصيدته « غادة اشبيلية » جعل ابراهيم يحسُّ أن الحب لم يتحوَّل الى « نكتة » ، وإنما تحوّل الى قوة مدمّرة ، وخاصة بعد ان صوَّر سيرته الذاتية تصويراً موجزاً في قصيدته « مصرع بلبل » ؛ وعندئذ انحاز ابراهيم الى ايمانه بقيمة الدعابة ، فانطلق في

شعر المجون انطلاقاً وفرته له طبيعة الخلطاء حينئذ ، فكانت القمة الثانية في التطور « معادلاً » مخففاً لرهبة الموت المقارن للحب ، وإن لم تكن الشهوة منفصلة عن الموت ؛ ولكن ابراهيم فصل بينهما عامداً لأنه لم يشأ أو لم يشأ له عقله الباطن أن يصل الى الباب المغلق في الذورة الثانية . يقول الدكتور عمر فروخ « وفي عام ١٩٣٣ وعام ١٩٣٤ نظم ابراهيم شيئاً كثيراً من المجون » . ثم يحلّ عام ١٩٣٥ فيتجه شعر ابراهيم في ذروة جديدة ، هي ذروة القضية السياسية ، وفي ديوان ابراهيم قطع كثيرة نظمت في ذلك العام اذا قُرئت معاً كوَّنت قصيدة وطنية سياسية تهكمية لاذعة ، تتحدث عن مشكلة الزعامة والسياسة والأحزاب في فلسطين ؛ وقد كانت هذه الذروة الجديدة سهلةَ البلوغ لأنه منذ البداية اتخذ « النكتة » والسياق النثري متكأه في الوصول اليها ، ولهذا كان توفره عليها يشبه الدفق العفوي الذي لا يتطلب كدّاً أو جهداً .

وبعد سنة ١٩٣٥ لم ينظم ابراهيم إلا قصائد معدودات : هل كانت قدرته على الصعود الى الذرى قد استنزفت ؟ إن من يتتبع شعر ابراهيم ـ على نحو متدرج ـ يحسُّ أن شاعريته كانت تتهيأ لذروة رابعة مهّد لها في « الثلاثاء الحمراء » و« مصرع بلبل » وختمها على نحو مبتسر في « مرابع الخلود » ـ تلك كانت ذروة في الشكل والمضمون معاً : أما في الشكل فقد كانت تعتمد التوزيع الدرامي خارج نطاق الغنائية الذاتية ، وأما في المضمون فقد كانت تعميقاً لنظرة كونية في المقولات الكبرى من هذه الحياة . ولكن مشاغل الوظيفة وإلحاح المرض والاغتراب الاضطراري ، كل ذلك فلَّ من تلك الحدة قبل الأوان ، وأوقف ابراهيم دون ما كان يرشحه له قدره في نطاق الابداع

الشعري . ولكن هل كـان في مقدور هـذه الذروة أن تتحـول إلى « نكتة » أو سخرية ؟ أحسب أن عجز ابراهيم عن إخضاعها لذلك التحوُّل هو الذي أفضى به إلى ما يشبه الاجبال .

ومهما يكن من شيء ، فربما نسي الشعراء المحدثون أن ابراهيم رائد من روادهم ، لقد جرأهم بالتنويع في داخل القصيدة الكبيرة على تنويعات من نوع جديد ، ومن خلال البساطة المنفردة بوضوحها والتي شاءها مجالاً للشعر فتح لهم الباب إلى خلق دهاليز الغموض ، وعن طريق الالتزام بقضية وطنه أعطاهم درساً عميقاً في أن الارتباط بقضية الشعب لا بدّ أن يتم اولاً على مستوى التعبير « الدارج » المؤثر الموحي ، الذي يعي أن الشعـر مطهـر ضروري لتصفيـة المبتـذل والمألوف .

إحسان عباس

اخي ابراهيم(*)

بقلم : فدوى طوقان

لا أحب الي من ساعة آخذ فيها مجلسي من أُمي ، فتحدثني عن طفولة شقيقي ابراهيم رحمه الله ؛ ويا له شعوراً حزيناً ، يتسرب في شعاب قلبي ، حين تفتتح حديثها عن ابراهيم بهذه الديباجة التي تفعم نفسي بالرحمة لها ، والحسرة عليه : « لقد بلوت في ابراهيم الحلو والمر ، ولقيت فيه من الحزن وطارقات الهموم ، اضعاف ما لقيت فيه من السعادة والهناء . . » وتترقرق في عيني كل منا دمعة ؛ وتعتلج في صدر كل منا لوعة ؛ ثم تشرع هي ، في حديثها عن طفولة ابراهيم ، وقد اقبلت عليها بحواسي وقلبي وروحي جميعاً .

كان ابراهيم لعوباً الى حد بعيد ، لا يقتصد اذا اخذ بسبب من اسباب العبث واللعب ؛ وكأنما كانت نفسه تضيق بإهابه فلا يهدأ ، ولا يستقر . وهو في أحيان كثيرة على خلاف مع جدته لأمه ، رحمها الله ، اذ كان على وفاق مع طبيعته المرحة اللعوب . كان يعرف نزق جدته وضيقها بالضجة والحركة ، فلا يألو جهداً في معابثتها

(*) نشر هذا المقال في العدد السادس من (سلسلة الثقافة العامة) التي كانت تصدر اعدادها المكتبة في يافا .

واستفزازها ، وذلك لكي تزجره وتنتهره برطانتها التركية التي كانت تخالطها من هنا وهناك كلمات عربية ، لا تستقيم لها مخارج بعض حروفها فتأتي ملتوية عوجاء ، تبعث ابراهيم على الضحك ؛ ولقد تهمّ الجدة باللحاق به ، فيفر منها . . ويتسلق إحدى شجرات النارنج التي تمتلىء بها ساحة الدار ؛ وهناك يأخذ مكانه بين الفروع الغليظة الصلبة ، وينتهي الأمر بينهما عند هذا الحد . ثم يشرع ، وهو في مقعده ذاك من الشجرة ، يترنم بالأهازيج الشعبية التي كانت تروقه وتلذه كثيراً .

وانني لأمثل في خاطري ، ذلك الشيخ الوقور ، جدي لأبي ، رحمه الله متربعاً في كرسيه ، مشتملاً بعباءته ، والى جانبه حفيده الصغير ابراهيم ، يتقارضان من الشعر والزجل (والعتابا) ما يعيه قلباهما .

وإنني لأمثل ابراهيم في خاطري كما يصورونه لي ، واقفاً أمام جده يرتجل ما ينقدح عنه فكره الصغير يومئذ ، من قول يرسله في وصف حادث حدث في البيت ، فيه نكتة ، او طرافة . . . وذلك في عبارات تكاد تكون موزونة مقفاة ، يقلد فيها ما كان يستظهره في المدرسة من شعر ؛ او ما يعيه قلبه من قصص « عنترة » و« أبي زيد الهلالي » و« سيف بن ذي يزن » ؛ تلك التي كثيراً ما أصغى الى أمه وهي تقرأها لجده لأبيه ، في أمسيات الصيف الجميلة ، او في ليالي الشتاء الطويلة .

كان ذلك التقليد من ابراهيم لاسلوب الأشعار التي يحفظها في المدرسة ، ولاسلوب القصص التي يسمعها تقرأ في البيت ، يملأ نفس

الجد غبطة ، ويفعمها بهجة ، فيأخذ حفيده اليه ، ويحتويه بين ذراعيه ، ويقول له بلهجة المعجب المتعجب : « . . . من أين تأتي بهذا الكلام يا ابراهيم ! » ، ثم يأخذ كيس نقوده من جيبه ، ويتناول منه قطعة ، يقبضها ابراهيم ، وينطلق بها مرحاً خفيفاً ، كأنه طيف من الأطياف .

على مثل تلك المفاوضات والمساجلات ، وعلى مثل هذه المحاولة الصبيانية لقول الشعر ، التي كانت تروق الجد ، بما فيها من تسلية لشيخوخته ، والتي كانت تستهوي الحفيد ، بما فيها من اشباع لفطرة شعرية كامنة فيه ، نشأ ابراهيم أول ما نشأ .

وفي هذه الأثناء ايضاً ، كان ابراهيم يبعث بالعجب والطرب معاً في نفس معلمه ، اذا وقف أمامه وقفته الخاصة كلها قام لينشد الشعر في درس الاستظهار ، سواء أكان ذلك الشعر عربياً أم تركياً ؛ فيلقيه إلقاء موسيقياً جميلاً ، ينبعث له طرب المعلم ، فيشرع ، وهو المعلم الوقور ، ينقر بأصابعه على المكتب نقرات إيقاعية ، تساير ذلك الالقاء الرائع الذي كان يزيد في روعته صوت خلاب آسر ، عرف له في مواقفه الخطابية فيما بعد .

كانت (المدرسة الرشادية الغربية) حيث تلقى ابراهيم دروسه الابتدائية تنهج في تعليم اللغة العربية نهجاً حديثاً لم يكن مألوفاً في مدارس نابلس في العهد التركي . وذلك بفضل بعض المدرسين النابلسيين الذين تخرجوا في الأزهر ، وتأثروا في مصر بالحركة الشعرية والأدبية التي كان يرفع لواءها شوقي وحافظ وغيرهما من شعراء مصر وأدبائها . هؤلاء المدرسون ، أشاعوا في المدرسة روح الشعر والأدب

الحديثة ، وأسمعوا الطلاب للمرة الأولى في حياتهم الدراسية قصائد شوقي وحافظ ومطران وغيرهم ، وفتحوا اذهانهم على اسلوب انشائي حديث ، فيه رونق ، وفيه حياة ؛ يختلف اختلافاً كبيراً عن ذلك الاسلوب القديم الذي كان ينتهج في المدارس في نابلس ، والذي لم يكن ليخرج عن كونه أسلوباً تقليدياً عقيماً ، لا تأثير له ، ولا غناء فيه .

من هؤلاء المدرسين المجددين ، المرحوم الشيخ ابراهيم ابو الهدى الخماش ؛ وكان جريئاً صريحاً ، ذا نزعة عربية صميمة ، ومبادىء وطنية قومية ، يجهر بها ويبثها في النفوس عن طريق خطبه وتدريسه ومجالسه ؛ وذلك في عهد ، كان الجهر فيه بمثل تلك المبادىء ، يوفي بأهله على المهالك . وقد التحق فيما بعد بالثورة العربية ، تحت لواء المغفور له الملك فيصل .

ومن هؤلاء المدرسين ايضاً ، صاحب الفضيلة ، الشيخ فهمي افندي هاشم قاضي قضاة شرقي الاردن في وقت مضى .

أمضى ابراهيم اربع سنوات في هذه المدرسة ، هي سنوات الحرب العظمى ؛ وانتقل على اثر الاحتلال الانكليزي مباشرة ، الى مدرسة المطران في القدس ، وله من العمر أربعة عشر عاماً .

وهنا نعرض لشخصية تعرف بها ابراهيم في القدس ، فكان لها انطباع في نفسه في ذلك الحين ، تلك هي شخصية المرحوم الاستاذ نخلة زريق ؛ وكان هذا متأثراً باليازجيين ، واسع الاطلاع على الآداب الاسلامية العربية ، شديد التعصب للغة ، شديد الوطأة على كل عربي متفرنج يتهاون في لغته او عربيته ؛ وكان ذا شخصية

قومية ، لا بدَّ من ان تترك في اعماق من تعرَّف بها ، أثراً منها .

كـان المرحـوم نخلة زريق مدرسـاً للغة العـربيـة في (الكليـة الانكليزية) في القدس ؛ فتح عيون طلابه على كنوز الشعر العربي ، وحببها اليهم ؛ ولقد كان ابراهيم ، وهو في مدرسة (المطران) يأخذ من شقيقه أحمد ـ وكان طالباً في الكلية الانكليزية ـ منتخبات الشعر القديم والحديث ، مما يختاره المرحوم نخلة زريق لطلابه ، فيستظهرها جميعاً ؛ وعن طريق أحمد ، تعرَّف ابراهيم بذلك المدرس الأديب ، فكانا يزورانه معاً في بيته الذي كان محجة العلماء والأدباء في القدس ؛ ويصغي اليه وهو يتدفق في حديثـه عن الأدب والشعر ، والعـرب والعروبة . . مما كان له شأن في إيقاظ وعي ابراهيم على مؤثرات أدبية وقومية أخرى .

واذ أتم أحمد دراسته في الكلية الانكليزية ، وتوجه الى الجامعة الاميركية في بيروت ، ظلت تلك الاسباب موصولة بين ابراهيم وبين المـرحوم نخله زريق ، ولكن لـمـدة قصـيرة ، اذ تـوفي الثـاني سنـة ١٩٢٠ .

في هذه الفترة من الزمن ، كان ابراهيم يحاول ان يقول الشعر الصحيح ، فتلتوي عليه مسالكه ، ولا يفلح فيه ، اذ لم يكن قـد درس علم العروض بعد .

وفي العطلة المدرسية ، يعود أحمد من بيروت ، ويلتقي الشقيقان في نـابلس وقد حمـل أحمـد لابـراهيم ، مـا حصله هنـاك من علم العروض ، ويشرح له تفاعيل الأبحر الشعرية ويوقفه على أصـول القوافي ؛ فيستوعب الشاعر المنتظر كل اولئك جميعاً ، وكأنما فتح له

فتح في دنيا الشعر التي كان يتشوق اليها ويعقد آماله ومطامحه عليها .

وعلى اثر ذلك ، يبدأ ابراهيم يقرزم الشعر قرزمة ، ويقوله في المناسبات التي تعرض له ، والأحوال التي تمر عليه في مدرسة المطران مما يوحي به الجو المدرسي ، بما فيه من جد وهزل .

وفي مجموعة اشعاره التي نظمها خلال عاميه الأخيرين في مدرسة المطران ، نحس بالشاعرية الكامنة التي كانت تأخذ عدتها ، لتستعلن بعد حين قصير في شعره القوي ، كما نلمس تلك الروح الوطنية المشتعلة التي اشربها منذ الصغر ، والتي أذابها فيما بعد ، في شعره الوطني .

وفي سنة ١٩٢٣ نشر ابراهيم لأول مرة إحدى قصائده ، ويقول ابراهيم بهذا الشأن :

« . . . لعلها اول قصيدة نشرت لي في صحيفة . رحم الله عمي الحاج حافظ ! . قرأها ، فأبدى اعجابه بها (على سبيل التشجيع) وطلب الي ان أُبيِّضها لينشرها في الجريدة ! في الجريدة ؟ شيء يطيش له العقل ؛ فأسرعت الى تلبية طلبه ، وعنيت بكتابتها قيراطاً ، وبوضع اسمي تحتها ثلاثة وعشرين قيراطاً . . . ثم أتيت بها اليه ، قال رحمه الله : « أتضع اسمك هكذا : ابراهيم طوقان ؟ لا يا بني ! يجب أن تضع اسم الوالد أيضاً ، ابراهيم عبد الفتاح طوقان ، اعترافاً بفضله عليك ، وبره بك . . . » أدب أدبني به عمي رحمه الله ، لا أعلم أني وقّعت اسمي بعد ذلك إلا تذكرت قوله وعملت به في كل أمر ذي بال أردت نشره » .

ولقد كان من أكبر الأسباب التي أعانته على ان يقول الشعر

فيجيده بالقياس الى صغر سنه ، كثرة حفظه للشعر المنتخب ، واحتفاله الكبير بالقرآن الكريم ، فقد كان كثير التلاوة له ، عميق النظر فيه . وأما ذلك الاحتفال منه بكتاب الله ، فإنه يرجع بدواعيه واسبابه الى بيئة في البيت ، يعنى أصحابها بتنشئة اطفالهم على تلاوته والتشبع بروحه . ولم ينفك ابراهيم منذ صغره يقرأ القرآن ، ويطيل التأمل فيه ، حتى أصبح له ذلك ديدناً ، لا يعوقه عنه عائق ، ولا يصرفه عنه تقلبه في مختلف معاهد العلم الأجنبية فيها بعد . ولم تكن تلاوته للقرآن الكريم تلاوة سطحية عابرة ، بل كان يتجه اليه بقلبه وروحه ، ويحس له في نفسه وقعاً عجيباً ، واثراً بعيداً ، فيهزه اعجازه هزاً ، وتفعل فيه بلاغته فعل السحر ، ويستولي عليه خشوع عميق ، يصرفه عن كل ما يحيط به .

انتهى ابراهيم من تحصيله في مدرسة المطران سنة ١٩٢٢ - ١٩٢٣ وانتقل الى الجامعة الاميركية في بيروت . وهنا تبدأ أخصب مراحل حياته الدراسية ، او اكثرها الواناً .

فها هو في بيروت ، يظله أفق أدبي واسع لا عهد له بمثله في فلسطين . هنالك الأدباء والشعراء ، وهنالك الدنيا براقة خلوب . . . وهنالك بعد ذلك ، السهم الذي كان ينتظره ، منجذباً عن وتره الى آخر منزع ؛ يتربص به الفرص ، لينفذه في قلبه الذي لم يكن قد مسه الحب بعد . . .

في هذه الجامعة ، يعرفه شقيقه أحمد بأحد اصدقائه من الطلاب ، وهو (سعيد تقي الدين) ؛ وسعيد ، من اولئك الذين يتذوقون الشعر ، ويميزون بين صحيحه وزائفه تمييزاً صائباً ؛ فيلمح

في شعر ابراهيم بارقات وصوراً شعرية ، تلوح من هنا ، وتستتر من هناك . وتساند احمد وصديقه سعيد ، وبدآ يوجهان ابراهيم التوجيه الصحيح في عوالم الشعر ودنياواته الرحيبة الجميلة .

وفي عامه الدراسي الثاني في الجامعة ، وكانت شاعريته قد بدأت تزخر وتمتلىء ، لتنبثق عن معينها بعد ان اخذت عدتها من هذه الصناعة الدقيقة ، صناعة الشعر ، نظم ابراهيم قصيدته في المرضات ، أو (ملائكة الرحمة) فكانت اول قصيدة لفتت اليه الأنظار في لبنان .

ففي هذا العام (١٩٢٤) مرض ابراهيم ، واضطره ذلك الى العودة الى نابلس ، قبل انتهاء الفصل الدراسي الأول . وفي اثناء مرضه نظم تلك القصيدة ، ونشرها في جريدة (المعرض) التي كانت تصدر يومئذ في بيروت ، فإذا العيون تتطلع الى هذا الشاعر الناشىء ، الطالب في الجامعة ، واذا بالصحف تتناقلها . نقلتها مجلة (سركيس) عن (المعرض) وعلّقت عليها بقولها : « ولعله أول من نظم شعراً عربياً في هذا الموضوع » . وطُلبت القصيدة من قبل مجلة (التمدن) في الأرجنتين ، واهديت اليه المجلة سنة كاملة ، وكان مما علقته عليها قولها : « ولو كان كل ما ينظمه شعراؤنا في هذا الباب من هذا النوع ، لكان الشعر العربي في درجة عالية من القوة والفتوة » ونقلتها جرائد ومجلات أخرى ، وكلها تطري الشاعر ، وتشجعه .

أما هذه القصيدة ، فهي وان تكن قد قيلت في موضوع الممرضات ، غير ان قسماً كبيراً منها ، كان في وصف الحمام ، تلك الطيور الوديعة ، التي كان يغرم بها ابراهيم ، ويعنى باقتنائها

وتربيتها ، أيام صباه . وتحدثني أُمي ، كيف كان وهو طفل ينجذب الى هذا الطائر انجذاباً خاصاً ، ويتأمله محوماً رائحاً غادياً ؛ وكيف كان ابراهيم اذا وقف كل صباح ليغتسل على حوض الماء الذي يقوم في صحن الدار ، أطال هناك الوقوف ، مستغرقاً في تأمله لأسراب الحمام ، وقد حفت بالماء تغتسل وتعبث بريشها ، فلا يزال على وقفته تلك ، الى ان ينبهه والده الى ابطائه على المدرسة .

وهكذا يمضي ابراهيم في طريق النظم ، وكانت نشوة توفيقه في قصيدة (ملائكة الرحمة) ، قد أفعمته بالزهو والخيلاء كما يقول ، الى ان تلقاه درساً أليماً ، أُوحي اليه يومئذ بقصيدة عنوانها « عارضي نوحي بسجع » وفيها تنعكس حالته النفسية الثائرة ، التي ترجع بأسبابها الى الدرس الأليم الذي تلقاه .

يقول ابراهيم بهذا الصدد : « كنت قد توفقت في قصيدة ملائكة الرحمة ، وسمعت كثيراً من كلمات الاعجاب بها ؛ فخيل الي ان كل قصائدي في المستقبل ، ستكون مثلها مدعاة للاعجاب !؟ وأخذت في نظم قصيدة غزلية ، وأنا مفعم بزهوي وخيلائي ؛ واخذت، أغوص على المعاني ، واتفنن بالألفاظ !! . وكان يشرف على نشأتي الأدبية اثنان من الزبانية هما أخي أحمد ، وسعيد تقي الدين ، فهرعت اليهما لأسمع إعجابهما وانتشي به ، وتلوت عليهما القصيدة ، وظفرت بالاعجاب !. . وتركاني ، وعادا إلي بعد قليل. قال أحمد : « أخي أنا لا أفهم القصيدة جيداً حين تتلى علي ؛ اريد ان اقرأها بنفسي » . فناولته القصيدة ، ودنا رأس سعيد من رأس أحمد ، وشرعا في قراءة صامتة ، ثم كانت نظرات تبادلاها ، أحسست منها

بمؤامرة . . . واذا بالقصيدة تمزق ، واذا بها تنسف في الهواء . قال أحمد : هذه قصيدة سخيفة المعنى ، ركيكة المبنى ؛ قال سعيد : « ليس من الضروري ان تنظم كل يوم قصيدة ! قال أحمد : كلها تكلّف وحذلقة ! . قال سعيد ليهون أثر الصدمة : لا بأس بها ، لكنها لا شيء بالنسبة الى قصيدة ملائكة الرحمة ، اعمل كل سنة قصيدة مثل ملائكة الرحمة وكفاك . . . قال أحمد . . . وقال سعيد . . . ولكن كان رأسي بين أقوالهما كأنه في دوار ، ولم أتمالك عن البكاء ، وتركتهما حانقاً ناقماً . وبعد ساعة كان سعيد فوق رأسي - وأنا لا أدري - يتلو أثر تلك الصدمة في قصيدتي : « عارضي نوحي بسجع » . فاختطفها ، وعاد اليّ بها في الصباح ، وعليها الجملة الآتية بقلم عمه الشيخ أمين تقي الدين : « روح شاعرة ، ليتها في غير معاني اليأس ، فالشباب واليأس لا يلتقيان ، أما النظم ، فيبشر بمستقبل فيه مجيد » .

« قسوة وعنف ، أفاداني أن أكون مع نفسي بعدئذ قاسياً عنيفاً ، أُمزق القصيدة حين أشعر بالتكلف يدب فيها ، وان أقف موقف الناقد الهدام ، أُحطم شعري بيدي ، او أبديه وأنا راض عنه ، ضامن رضى قارئه أو سامعه . أحمد وسعيد ليسا من الزبانية ؛ إنهما ملكان كريمان ! . جزاهما الله عني خيراً » .

ونعود الى ما بدأنا به من الحديث عن أيام ابراهيم في بيروت فنقول : مضت عليه سنوات ثلاث في الجامعة ، بلغ في نهايتها الثانية والعشرين ، وقد قعد به المرض خلالها عن اتمام دراسته في الصف الأول العلمي ، فانتقل الى نابلس ، ثم عاد في العام الذي تلا ذلك

الى الجامعة . وكان في هذه السنوات الثلاث لا ينقطع عن قول الشعر . وفي سنة ١٩٢٥ نشرت له جريدة (الشورى) في مصر نشيداً وطنياً لتحية المجاهد الأمير عبد الكريم الريفي . فلما أطلع الشاعر الاستاذ خير الدين الزركلي على النشيد قال : « ان صدق ظني ، فإن صاحب هذا النشيد سيكون شاعر فلسطين » .

ومن عجب ، ان يظل قلب ابراهيم خالياً من المرأة حتى ذلك الحين ، ولقد كان اصدقاؤه في الجامعة يعجبون لذلك ويقولون له على سبيل المزاح : « أنت شاعر ولكن بلا شعور ، أين وحي المرأة في شعرك ؟ » .

في نهاية تلك السنوات الثلاث ، بلغ ابراهيم الثانية والعشرين كما ذكرنا من قبل . وهنا مس الحب قلبه .. ولكن هل كان مس ذلك الحب رفيقاً رحيماً ؟ كلا ؛ بل كان مساً عنيفاً ملهباً اشعل روحه وأيقظ حسه ، وأرهف نفسه .

ففي سنة ١٩٢٦ ، طلعت في الجامعة في بيروت ، فتنة تمثلت في صورة فتاة فلسطينية طالبة هناك ، فأحيت قلوباً وسحقت قلوباً . . . وتورط ابراهيم ، ودخل المعركة ، وابتلى حسنات وسيئات ، أما السيئات ، فليس هذا بموضع تدوينها ، وأما الحسنات ، فتنحصر في الطريق الأدبي الجديد الذي نهجه ، والاستعداد الكبير للسير في هذا الطريق .

صار قوي الملاحظة ، حاضر العاطفة ، متوفز الأعصاب ، صار كثير المطالعة ، صياداً للمعاني ، بسيط العبارات ، سهل الفهم ، مصيباً .

تلك هي حسنات ذلك الحب ، على حد تعبيره .

ونظم في فتاته قصيدته (في المكتبة) ، ونشرت القصيدة في إحدى الصحف في بيروت ، فنطقت بألسنة الكثيرين من الطلاب والاساتذة ايضاً . .

ومنذ ذلك الحين ، أخذ ابراهيم يضرب على قيثارة الغزل ، فيطرب سماعه ، ويعجب قراءه . وقد أحبته فتاته بمقدار ما أحبها ، ثم ضرب الدهر بينهما ، فكانت نهاية حبه مأساة ، خلفت في قلب الشاعر جرحاً ، كان يندمل حيناً ، وتنكأه الذكرى حيناً آخر ، فينعكس ذلك كله في شعره ، كما تنعكس صورة على صفحة المرآة المصقولة .

نكتفي بهذا القدر من قصة ذلك الحب ، الذي كان له أكبر الأثر في ارهاف حسه ، والسمو بشاعريته الى سماء الشعر الصادق ، الذي ينبثق من ذات النفس ، وينبعث من اعماق الروح .

ونلتفت الآن الى بعض الأجواء الأخرى ، التي كانت تحيط بابراهيم في أعوامه التي قضاها طالباً في الجامعة .

لقد احتضنت ابراهيم في الجامعة وخارجها ، بيئة شعرية أدبية لم تكن لتحتضنه لو لم يكن في بيروت . أما في الجامعة ، فقد كان هناك رعيل من اقرانه الطلاب ، امتاز بصبغته الشعرية ، وتعاطيه لقول الشعر الجزل . من ذلك الرعيل كان عمر فروخ (صريع الغواني) وحافظ جميل (ابو النواس) ووجيه بارودي (ديك الجن) وابراهيم (العباس ابن الأحنف) . وكان تجاوب الذوق والمشرب

قد وصل بين هؤلاء بأسباب المحبة والأخوة . وكانت تجري بين حافظ ووجيه وابراهيم ، مساجلات شعرية عديدة ، تناقلها الطلاب وأحبوها ، غير ان هذه المساجلات لم تكن لتخرج عما توحي به طبيعة الشباب الملتهب ، المندفع وراء الحياة .

هذا في الجامعة ، وأما خارجها ، فقد كانت هنالك مجالس الأدب العالي والشعر الرفيع ، وكلها تفتح لابراهيم صدرها ، وتوليه من عنايتها واهتمامها ، وتعقد بينه وبين أصحابها صلة الود . وحسبي أن أذكر من أصحاب تلك المجالس الأدبية الرفيعة المرحوم الشيخ أمين تقي الدين والمرحوم الاستاذ جبر ضومط ، والشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) .

أصبح ابراهيم شاعر الجامعة ، كما لقبته صحف بيروت . ولم يقتصر في ذلك العهد على الشعر الغزلي فحسب ، بل كانت أغاريده الوطنية الفياضة بالعواطف الصادقة ، والايمان الوطني القوي ، تسير جنباً الى جنب مع أغاريده الغزلية . وهذان الوتران كانا من الأوتار التي امتاز ابراهيم بالضرب عليها .

وفي سنة ١٩٢٩ ، نال شهادته من الجامعة ، ليخوض بحر الحياة العملية المزبد المتلاطم .

معلم ، معلم ، معلم ، هذه هي الكلمة التي كان يسمعها تتردد على شفاه الكثيرين من الطلاب الخريجين ، يوم توزيع الشهادات ، فيقول لنفسه : « أَبَعد هذا العناء والكد ، يختار هؤلاء التعليم مهنة ؟ ، ألا ساء ما يفعلون ؛ ما أقصر مدى طموحهم » .

أما هو ، فقد كانت المفاوضات جارية بينه وبين إحـدى دور الصحافة في مصر ، وتوشك أن تنتهي على أحسن ما يتمناه . فهذه مهنة تلائم ذوقه على الأقل ، وتسير مع اختصاصه . سيكون محرراً في مجلة كبرى في القاهرة ؛ وناهيك بالقاهرة من مـدينة فن وأدب وجمال . وأي شيء تصبو اليه نفس الأديب الناشيء الطموح ، ولا يجده في القاهرة ؟ المكتبة الكبرى ، الأزهر ، الصحف ، الشعراء ، الكتّاب ؛ « يا مصر ، لله مصر ! » . صحافي ، صحافي . . .

هـذا ما كـان ابراهيم يحـدث به نفســه في أيامـه الأخيرة في الجامعة .

من المنصة التي منح عليها (البكالوريا) ، مشى ابراهيم الى سرير المستشفى ؛ وأراني حتى الآن ، لم أُشر الى انه كان يشكو ألماً في معدته منذ أيام التلمذة في مدرسة المطران في القدس ؛ وكثيراً ما أقعده ذلك عن مواصلة التحصيل ، الى ان يشفى فيعـود اليها ؛ وكثيراً ما حمله بعد ذلك ، على الاستقالـة من وظائفـه التي تقلب فيها .

أبلّ ابراهيم من مرضه ، وكان والده الى جانبه في هذه الآونة ، اذ قدم بيروت ليشهد حفلة الجامعة . ثم توجـه الاثنان الى مصر ليستشيرا الأطباء هناك ، وليبحث ابراهيم في شغله الصحافي .

وفي مصر ينفذ البرنامج ، وتتجه صحة ابراهيم اتجاهاً حسناً ؛ وبعد بضعة اسابيع يعود الوالد بولده الى نابلس ، قرير العـين ، ناعم البال ، على ان يعود ابراهيم للشغل في مصر بعد أن يمضي مع ذويه أياماً قليلة .

غير أن الأم تأبى عليه ذلك ، وتحكم ان يظل ولدها قريباً منها ، وتدخل العاطفة في الموضوع . . . زد على ذلك ان أباه لم يكن راغباً في شغله في مصر .

وكانت هناك ظروف أخرى ، شاءت ان يلغي ابراهيم برنامجه الصحافي ويضرب بهذا الأمل المنشود عرض الحائط ، ولو لمدة سنة .

وفي هذه الآونة ، كانت وظيفة معلم اللغة العربية في مدرسة النجاح الوطنية بنابلس شاغرة . فيأتي الى ابراهيم والده ، يقنعه بالموافقة على التدريس هناك ؛ فهذه خدمة وطنية مشكورة . أضف إلى ذلك ان المسؤولين في المدرسة ، سيجعلون ساعات العمل بحيث لا يرهقونه ، ثم ان هذا العمل في بلده ، وانه لون من ألوان الاختبار يقطع فيه ابراهيم جزءاً من أوقات الفراغ الطويلة المملة .

ويكون رد ابراهيم على ابيه بأنه لا يستطيع ان يتصور نفسه معلماً ، فهذا عمل لم يخلق له ، وسيكون فيه خائباً لا محالة . ولكن أباه يبين له انه سيعلم في موضوعه ، فلا يخرج عن نطاق ما خلق له .

واذا بابراهيم ذات صباح أمام فريق من الطلاب ، على مقاعدهم الخشبية ، واذا به يكتب على اللوح : « الطقس جميل » ، ثم يقول لأحد التلاميذ : ادخل (كان الناقصة) على هذه الجملة ، فيقول التلميذ : « كان الطقس جميلاً » .

نعم . . . كان الطقس جميلاً ، فتعكر ، وجرت الرياح بما لا تشتهي السفن . . .

زاول ابراهيم مهنة التعليم في هذه المدرسة سنة واحدة ، وكان له تأثير في بعض طلابه من الصفوف العالية ؛ فحبب اليهم الشعر والأدب . ولا أزال اذكر ذلك اليوم الذي أقبل فيه يحدثنا مبتهجاً ، بأن بعض تلاميذه النجب ، قد بدأوا ينظمون الشعر على يده .

خلال هذا العام الدراسي (١٩٢٩ - ١٩٣٠) كان ابراهيم ينظم الشعر الوطني ، فيرسله صرخات حافزة ، ونـاراً مشتعلة . ومن أشهر قصائده ذلك الحين (الثلاثاء الحمراء) .

ففي حزيران سنة ١٩٣٠ صدر حكم الاعـدام على شهـداء فلسطين الثلاثة ، وذلك على أثر ثورة سنة ١٩٢٩ . وقد ضج أهل البلاد لهذا الحكم ، وقدموا احتجاجاتهم ورجاءهم ، فلم يغن ذلك عنهم شيئاً .

وفي نهار الثلاثاء ، السابع عشر من حزيران سنة ١٩٣٠ ، كان التكبير على المآذن ، وقرع النواقيس في الكنائس ، يتجاوب صداهما في ارجاء فلسطين قاطبة ؛ اذ في ذلك النهار ، نفذ حكم الاعدام بالشهداء الثلاثة ، في ثلاث ساعـات متواليـة . فكان اولهم فؤاد حجازي ، وثانيهم محمد جمجوم ، وثالثهم عطا الزير . وكان من المقـرر رسمياً ان يكـون الشهيد (عـطا الزيـر) ثـانيهم ، ولكن (جمجوماً) حطم قيده ، وزاحم رفيقه على الدور الثاني حتى فـاز ببغيته . .

وهنا يأخذ الشاعر ريشته ليصور هذا اليوم المخضب بالدماء أروع تصوير ، وليسجل في سفر الشعر الوطني الخالد ، مصـارع اولئك الشهداء . فتكون قصيدة (الثلاثاء الحمراء) .

وكان يوم حفلة مدرسة النجاح السنوية في نابلس ، ولم يكن قد مضى على تنفيذ حكم الاعدام بهؤلاء الشهداء اكثر من عشرة ايام ، فالنفوس لا تزال ثائرة ، والعواطف لا تزال مضطربة ؛ وفي تلك الحفلة ، القى ابراهيم قصيدته (الثلاثاء الحمراء) . . وذهل عن الجمهور ؛ وشعر كأنما خرج من لحمه ودمه ، فكان يلقي بروحه وأعصابه ، فما انتهى حتى كان بكاء الناس يعلو نشيجه ، ثم تدفقوا خارج القاعة في حالة هياج عظيم حتى لقد قال بعضهم يومئذ : « لو ان ابراهيم ألقى قصيدته في بلد فيه يهود ، لوقع ما لا تحمد عقباه » . يشير بذلك الى فرط الحماس الذي أثارته هذه القصيدة في اولئك السامعين .

لم تكد تبدأ عطلة العام الدراسي الأخيرة لسنة ١٩٣٠ حتى كانت الجامعة الاميركية في بيروت ، قد عرضت على ابراهيم ، بواسطة الاستاذ انيس الخوري المقدسي ، التعليم في قسم الأدب العربي في الجامعة .

كان مجرد فكرة العودة الى بيروت ، وآفاقها الرحيبة السحرية ، كفيلاً بأن يجعل ابراهيم يوافق على مزاولة التعليم مرة أخرى ، وعن طيب خاطر . . فلقد كان حبه لهذا البلد ، ولأهله الكرام ، حباً متمكناً من نفسه ، الى حد بعيد ، بل لقد كانت بيروت بمنزلة الوطن الثاني له ، يرى في أهلها أهله ، وفي عشيرتها عشيرته ، وكيف لا يكون لهذا البلد في نفس ابراهيم مثل هذا المكان الرفيع ، وفيه تفتحت زهرة شبابه اول ما تفتحت :

أول عندي بفنون الهوى   بيروت ؛ أنعم بالهوى الأول . .

وانتقل الى الجامعة الأميركية ، فدرّس فيها عامين ، نظم خلالهما اروع قصائده التصويرية ، مما يدخل في باب الموضوعيات من شعره . ولابراهيم في هذا الباب قصائد فذة ، تفيض بالصور الحية الناطقة .

ولقد عادت المرأة ، أو بالأحرى ، عاد الجمال يحرِّك قلب ابراهيم في بيروت ، فيوحي اليه بأرق الشعر وأجزله . ومسارح الجمال في بيروت مختلفة الألوان ، متعددة الصور ، وهي هناك تكاد تكون مكشوفة النقاب لا تختبىء وراء حجاب . وابراهيم نشأ في بلد متمسك بتقاليده وعاداته أشد التمسك ، فهو يسدل دون المرأة ستاراً كثيفاً نسجه . ومن هنا ، كانت بيروت مهبط وحيه في ما قاله من شعر في المرأة .

وفي غادة اشبيلية ، اندلسية كانت في بيروت ، نظم ابراهيم فيما نظم من شعر غزلي في ذلك الحين ، عدة قصائد ، وهو يعرف بأن انجذابه الى هذه الغادة ، قد لا يكون بدافع جمالها ، وخفة روحها ، بمقدار ما كان يتقرّاه في خلقتها من الدم العربي ، وما كان يلاحظه من الفن العربي في ثيابها ورقصاتها .

وأثناء إقامته في بيروت قدم الجامعة الاميركية الدكتور (لويس نيكل البوهيمي) ، وهو مستشرق تخصص في الغزل العربي ، فكان يتنقل بين عواصم الشرق والغرب ، باحثاً في مكاتبها الكبرى عن الكتب المتعلقة بموضوعه ، وكان من نتيجة ذلك ان ترجم الى اللغة الانكليزية كتاب (طوق الحمامة) لابن حزم الاندلسي . وقد تعرف ابراهيم بالدكتور نيكل عن طريق صديقه الاستاذ أنيس فريحة ، وكان

هذا المستشرق ، حين تعرَّف بابـراهيم ، قد بـدأ بتصحيح كتـاب (الزهرة) لابن داود الاصفهاني ، وتعليق حواشيه وتنظيم فهارسه . فلما رأى مدى اطلاع ابراهيم على الشعر القديم دعاه الى العمل معه واشراكه في تصحيح الكتاب وطبعه ؛ وباشرا العمل معـاً في اليوم الثاني للمقابلة الأولى . وفي بضعة شهور انجزا عملهما فيه حيث طبع الكتاب سنة ١٩٣٢ . ويقول الدكتور نيكل بهذا الشأن في رسـالة خاصة تلقيتها منه : « . . . ثم أقمنا حفلة (الزهروية) في مـطعم نجار ، ونظم ابراهيم قصيدته (غادة اشبيلية) ، وكانت تلك الأيام من أسعد أيامه وأيامي . . . » .

وفي نهاية العام الثاني لتدريسه في الجامعة ، قدّم ابراهيم استقالته من العمل ، وعاد الى فلسطين ، حيث زاول مهنة التعليم في المدرسة الرشيدية في القدس . وفي هذا الحين ، ضاق بعمله أشد الضيق ، فنفّس عن الكرب الذي لحقه من هذه المهنـة بقصيدتـه (الشاعـر المعلم) وقد صاغها في قالب فكاهي عذب ، صوَّر فيه ما كان يكابده من مشقة التعليم ، والجهد الذي كان يبذله ، والعنـاء الذي كـان يلاقيه من جراء ذلك كله .

وفي أواخر سنة ١٩٣٢ ، وقبل انتهاء الفصل الدراسي الأول ، ألحَّ عليه السقم ، ولازمته العلة ، فانقـطع عن التدريس ، وظـل طـريح الفـراش ، الى ان اشتدت وطـأة المرض ، فـأشار الأطبـاء بضرورة نقله الى المستشفى ، وإجراء عملية جـراحية في معـدته . ولقد كان من خطورة شأن هذه العملية ، ان نفض الجرّاح يديه من نجاة مريضه من الموت بعدها ، لما كان عليه ابراهيم من النحـول

والضعف . ولكن (الله في السماء ، والأمل في الأرض) ! فقد اجريت العملية بالرغم من الشك الكبير في نجاته من خطرها . وتشاء حكمة الله ، ان ينجو ابراهيم من الموت المحقق ؛ ولقد أقر الطبيب يومئذ ، بأن سلامة مريضه كانت من معجزات الله ، لا شأن لفن الطب فيها ، ولا لحذق الطبيب ، اذ كانت حال ابراهيم فوق هذين كليهما .

وتماثل للشفاء ، وحانت الساعة التي سيغادر فيها المستشفى ، فشيع الطبيب هذا (المولود الجديد) ، كما كان يسميه ، مهنئاً والديه به . وخرج ابراهيم وفي جيبه ورقة عليها هذه الأبيات :

اليك توجهت يا خالقي بشكر على نعمة العافيه
اذا هي ولت فمن قادر سواك على ردها ثانيه
وما للطبيب يد بالشفاء ولكنها يدك الشافيه
تباركت ، أنت معيد الحياة متى شئت في الأعظم الباليه
وأنت المفرج كرب الضعيف وأنت المجير من العاديه

بلى لقد كان ابراهيم يؤمن بالله ايماناً عميقاً صادقاً ؛ وقد ابتلاه ربه بالحرمان من نعمة العافية ، وهو في ريعان الشباب ، فما وجده إلا صابراً متفائلاً . وانك لتتصفح ما خلفه من مآثره الأدبية ، فتراه قد عرض فيها مراراً عديدة لذكر مرضه وسقمه ، ولكنه عرض مرح مبتسم ، لا روح للتشاؤم فيه ولا أثر لشكوى الزمان ، اذ كان المرح والابتسام خلقة في ابراهيم ، فلم يكن لينظر الى الدنيا إلا من وجهها الضاحك المشرق ؛ وانظر الى هذه الأبيات لترى كيف كان يواجه تنكر العافية :

وطبيب رأى صحيفــة وجـهي شـاحباً لـونها ، وعودي نحيفـا
قـال : لا بـد من دم لـك نعـطيـه نقيـاً ، مـلء العـروق عنيفــا
لـك ما شئت يـا طبيب ولكن أعطني من دم يكون خفيفا . .

ضعف في البنيـة شديـد ، قد يبعث في غـير ابراهيم التشـاؤم والضجر ، ولكنه هو ، القوي بروحه ، المرح بطبيعته لا يدع النكتة تفلت منـه وهو في أشـد حالات المـرض : « أعطني من دم يكـون خفيفاً » . .

غادر ابراهيم المستشفى موفور الصحة ، وعاد الى بلده بعد ان قدم استقالته الى المدرسة الرشيدية في القدس ، وقد عزم عزماً أكيداً على عدم العودة الى هذه المهنة ، مهنة التعليم ، مرة أخرى .

أمضى بعد ذلك عامين في نابلس ، خدم خلالهما مدة في دائرة البلدية ، وفي هذين العامين ، نظم ابراهيم مقطوعاته الوطنية التي كان يوالي نشرها في جريدة (الدفاع) والتي كان يقبل عليها القراء بشغف عظيم ، لما فيها من تصوير صادق لوضع فلسطين الخطير ، وتفكك الأمة المريع ، في تلك الفترة من الزمن .

وفي سنة ١٩٣٦ تسلّم ابراهيم عمله الجديد في القسم العربي في اذاعة القدس . وقبل الحديث عن اعماله هناك ، أوثر أن أقف عند شعره وقفة قصيرة .

اذا قرأت شعر ابراهيم ، تجلت لك نفسه على حقيقتهـا ، لا يحجبها عنك حجاب ؛ ذلك انه كان ينظر نظراً دقيقاً في جوانب تلك النفس ، ثم يصوِّر ما يعتلج فيها من عواطف وخلجات ، كأصدق ما

يكون التصوير ؛ ومما كان يعينه على البراعة والصدق في التعبير ، علم غزير بفنون الكلام وأساليبه ؛ وهذا العلم كان نتيجة لاطلاعه الواسع على المآثر الأدبية الرفيعة ، من قديمة وحديثة ، الى جانب القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

وما أعرف كتاباً أدبياً كان أحب اليه من كتاب (الأغاني) ، فقد كان يرى فيه دنيا تغمرها الحياة على اختلاف ألوانها ؛ وناهيك (بالأغاني) من كتاب أدبي توفرت فيه المادة ، وتنوع الأسلوب ، واتسع فيه مجال القول في الأخبار والنوادر الأدبية على اختلافها .

وكما كان كتاب (الأغاني) من أحب كتب الأدب العربي الى ابراهيم فقد كان (المتنبي) من ناحية ، و(العباس بن الأحنف) من ناحية أخرى من أحب الشعراء إليه وأقربهما من قلبه ، وكان الدكتور نيكل قد ساعده في الحصول على نسختين تصويريتين لديوان (العباس) من استنبول اذ كان في نية ابراهيم ـ لو أمهله الزمن ـ ان يخرج هذا الديوان في طبعة جيدة أنيقة .

وأما « شوقي » في الشعراء المعاصرين فهو سيد المكان في قلب ابراهيم .

يمكنك ان تقسم شعر ابراهيم الى ثلاثة أقسام : الغزليات ، والوطنيات ، والموضوعيات ؛ وهذه الأخيرة تمتاز بعمق الفكرة ، ودقة التصوير ، وقد حلّق فيها الى آفاق الشعر العالي ؛ هنالك « الشهيد » و« الفدائي » و« الحبشي الذبيح » وغيرها . ولعل واسطة العقد في موضوعياته ، قصيدة « مصرع بلبل » وهي فتح جديد في القصة الشعرية ، نلمس فيها تأثر ابراهيم بالأدب الغربي دون ان يفقد

مميزات خياله الخاص ، وتعبيراته الشعرية الخاصة .

وفي قصيدة « الشهيد » ، ينقلنا ابراهيم بدقة وصفه ، وروعة تصويره الى ما يثور في نفس الشهيد من عواطف ، واستقتال في سبيل الواجب الأسمى ، لا يبتغي من وراء ذلك ذيوع اسم ولا اكتساب صيت ، وانما هو عنصر الفداء ، وجوهر الكرم ، صيغت منهما نفس الشهيد ، فهان عندها الموت في سبيل الله والوطن .

ومن موضوعاته الرائعة قصيدة « الحبشي الذبيح » وهي صورة حية ناطقة ، يرسم فيها ابراهيم حالة ذلك « الديك الحبشي » الأليمة حين يذبح ويأخذ يصفق بجناحيه ، ويجري من هنا وهناك ، مزوّر الخطى ، كأنما هو يلحق بالحياة التي استلبت منه . ولقد أوحى اليه بهذا الموضوع العنيف ، وقوفه يوماً برجل على جانب الطريق في بيروت يذبح ديوكاً حبشية يعدها لرأس السنة . واذا بالنفس الشاعرة يروعها ان لا يقوم السرور إلا على حساب الألم ، واذا بها تفيض بأقوى الشعر التصويري الحي .

ونلتفت الآن الى ابراهيم شاعر الوطن ، الذي سجل آلام فلسطين وآمالها خلال الانتداب الانكليزي ، كما لم يسجله شاعر فلسطيني من قبل .

انظر اليه وقد خلد ثورة فلسطين وشهداءها سنة ١٩٢٩ في قصيدة « الثلاثاء الحمراء » ، ثم يوم عاد في الذكرى الرابعة لهؤلاء الشهداء فخلدهم مرة اخرى في قصيدة «الشهيد» كل ذلك في شعر لاهب حماسي ، فلا بكاء ولا استخذاء ، وانما هي صرخات مدوية مجلجلة ، تحفز الهمم ، وتثير الشعور بالعزة والاباء .

وأما بيع الأرض ، فلم يزل ابراهيم يصور لقومه الخطر الذي ينتظر البلاد من وراء البيع ، ولم يزل يفتح عيونهم على الشر الذي عم واستحكم من جراء ذلك :

اعداؤنا منذ ان كانوا صيارفة ونحن منذ هبطنا الأرض زرّاع
يا بائع الأرض لم تحفل بعاقبة ولا تعلمت ان الخصم خداع . .
لقد جنيت على الأحفاد والهفي ! . وهم عبيد . . وخدام . . واتباع .
وغرك الذهب اللماع تحرزه . . ان السراب كما تدريه لماع
فكر بموتك في أرض نشأت بها واترك لقبرك ارضاً طولها باع

وقد التفت ابراهيم مرات عديدة في شعره ، الى هذه الناحية . وحين نشرت الصحف ان زعيم الهند (غاندي) قد انذر انكلترا بالصيام مدى الحياة ، ما لم تغير خطتها السياسية في الهند ، راح ابراهيم يغمز ويقارن زعيم هنا . . وزعيم هناك :

حبذا لو يصوم منا زعيم مثل (غندي) عسى يفيد صيامه
لا يصم عن طعامه . . . في فلسطين يموت الزعيم لولا طعامه . .
ليصم عن مبيعه الأرض يحفظ بقعة تستريح فيها عظامه ! .

وهو في رثائه للمغفور له الملك فيصل ، يضرب على هذا الوتر نفسه ، مشيراً ، الى استقبال الجثمان الطاهر في فلسطين :

ما الذي أعددت من طيب القرى يا فلسطين لضيف معجل
لا أرى أرضاً نلاقيه بها . . قد اضاع الأرض بيع السفل
فاستري وجهك لا يلمح على صفحتيه الخزي فوق الخجل .

ولم يكن ليدع مناسبة تمر ، دون ان يشير الى هذا الداء العضال ، الذي بليت به فلسطين . ولشد ما صب نقمته على تلك العصبة الحقيرة ، عصبة السماسرة ، التي يقوم على يديها ضياع البلاد :

أما سماسرة البلاد فعصبة   عار على أهل البلاد بقاؤها
إبليس أعلن صاغراً إفلاسه   لما تحقق عنده اغراؤها
يتنعمون مكرمين . . . كأنما   لنعيمهم عم البلاد شقاؤها
هم أهل نجدتها . . وان انكرتهم   وهم ـ وأنفك راغم ـ زعماؤها . .

ولكم كانت تروعه تلك الحزبية التي يضطرم وقودها في البلاد ، فلا ينتج منها إلا تفكك الأمة وشقاقها ، وفي ذلك ما فيه من إعاقة السير نحو الهدف الواحد :

وطني ، أخاف عليك قوماً اصبحوا   يتساءلون : من الزعيم الأليق
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه   باب على سود الحوادث مغلق
والله لا يرجى الخلاص وأمركم   فوضى ، وشمل العاملين ممزق

ولطالما نقد أصحاب الأحزاب في شعره وندد بهم ، لا يخص فريقاً دون فريق ، وانما يوجه القول اليهم جميعاً .

مالكم بعضكم يمزق بعضاً   أفرغتم من العدو اللدود ؟
اذهبوا في البلاد طولاً وعرضاً   وانظروا ما لخصمكم من جهود . .
والمسوا باليدين صرحاً منيعاً . .   شاد أركانه بعزم وطيد !
كل هذا استفاد ما بين فوضى   وشقاق ؛ وذلة ؛ وهجود . .

واشتغال بالترهات ، وحب الذات . . . عن نافع عميم مجيد
شهد الله ان تلك حياة   فضلت فوقها حياة العبيد

وما كان انكأ لقلب ابراهيم من خمود العزائم في حاملي عبء القضية الوطنية ووقوفهم عند تقديم (البيانات) و(الاحتجاجات) ، لا يتعدونها الى غيرها من الأعمال المجدية ، انظر اليه يخاطبهم متهكماً :

انتم (المخلصون) للوطنيه . .   انتم الحاملون عبء القضيه . .
انتم العاملون من غير قول . .   بارك الله في الزنود القويه . .
و(بيان) منكم يعادل جيشاً   بمعدات زحفه الحربيه . .
و(اجتماع) منكم يرد علينا   غابر المجد من فتوح أُميه . .
ما جحدنا (أفضالكم) . . غير أنا   لم تزل في نفوسنا أُمنيه
في يدينا بقية من بلاد . .   فاستريحوا كي لا تطير البقيه . .

وبذلاقة ورشاقة ، كان ابراهيم يتغلغل بقلمه الى صميم الأشياء فيزيح عنها الستر ويبين ما خفي وراءه من حقائق مرة ؛ ويا لها من مرارة يرسلها في شعره متألماً (لمظاهر العبث) التي كان يراها تغلب على ميول الأمة :

أمامك أيها العربي يوم   تشيب لهوله سود النواصي
وأنت كما عهدتك لا تبالي   بغير مظاهر العبث الرخاص
مصيرك بات يلمسه الأداني   وسار حديثه بين الأقاصي
فلا رحب القصور غداً بباق   لساكنها ، ولا ضيق الخصاص

لنا خصمان ، ذو حول وطول   وآخر ذو احتيال واقتناص . .
تواصوا بينهم . . فأتى وبالاً   وإذلالاً لنا ذاك التواصي
مناهج للابادة . . واضحات   وبالحسنى تنفذ ، والرصاص . .

وأما وعد بلفور ؛ وأما هجرة اليهود الى هذا الوطن المنكود ، فلم يبرحا مجالاً للقول ذا سعة في شعر ابراهيم ، وهدفاً يرمي اليه ، ويحوم حواليه .

وهكذا ، ترى شعره الوطني شعراً يحمل طابعاً فلسطينياً خاصاً ، كان حتماً ان تطبعه به أحوال البلاد المضطربة في هذا العهد المظلم من عهود فلسطين . وما كان ابراهيم ليفوز بلقب شاعر الوطن ، وشاعر فلسطين ، لو لم يسجل قضية بلاده في شعره القوي ، الذي يمتاز بذلك الطابع الفلسطيني الخاص . . ولو لم تنعكس في ذلك الشعر اصدق صورة لهذا الوطن في هذا العهد . .

تأسست اذاعة القدس سنة ١٩٣٦ ، ووقع الاختيار على ابراهيم ليكون مراقباً للقسم العربي فيها ؛ فاحتضن هذا القسم ، ولفه تحت جناحيه ، وتعهده بعنايته مدة أربع سنوات .

وفي سنة ١٩٣٧ تعرَّف ابراهيم (بسامية عبد الهادي) من احدى أُسر نابلس ، فاتجه اليها قلبه ، وهناك استقر ؛ فأصبحت شريكة حياته . وعاش هانئاً في بيته ، سعيداً بعاطفة جديدة مقدسة هي عاطفة الأبوة ، اذ ولد له « جعفر » ثم ولدت « عريب » .

أقبل ابراهيم على عمله في الاذاعة بكل قلبه ، اذ كان مثل هذا العمل يوافق ذوقه ويمشي مع ميوله ؛ ولم تمض مدة يسيرة على اشرافه

على البرامج العربية ، حتى كانت تلك البرامج مرآة ينعكس عليها ذوق هذه البلاد ، وآراء أهلها العرب ؛ وكـان اكبر همـه ان تكون الأحاديث قريبة من مستوى العقول على اختلاف طبقاتهـا ؛ لاسيما الأحاديث الأخلاقية ، فكان يصل الى هذا الغرض التهذيبي بطريقة لا يشك في نجاحها ، وهي طرق هذه الموضوعات من نواح ثلاث : الآية القرآنية ، الحديث الشريف ، المثل المشهور . ولكل من هذه النواحي أثرها البعيد في العقليات المختلفة لأهل المدن والقرى على السواء ، لما لها من علاقة ماسة بالحياة الاجتماعية .

ولقد كان لابراهيم في الاذاعة أحاديث أدبية كثيرة ، أضف الى ذلك قصصاً وروايات تمثيلية ، كان يصنعها بنفسه ، وأناشيد ، منها ما كان ينظمه لبعض البرامج الخاصة ، كنشيد « أشواق الحجـاز » والنشيد الذي وضعه في رثاء المغفور له الملك غازي ؛ ومنها ما كان ينظمه لأحاديث الأطفال .

لم تكن الوظيفة لتقعد بابراهيم عن تقديم رسالته الى هذا الوطن الذي تفانى في حبه ، وجمع له همَّ قلبه ؛ ولئن كانت قد اعترضت لهاة بلبل الوطن الغريد ، وحالت دون تسلسل أغانيه الوطنية الشجية ، التي طالما أيقظت القلوب النائمة ، وألهبت النفوس الهـامدة ، فلم تكن لتستطيع أن تحول دون حبه لهذا الوطن ، وبذله اقصى مجهوده لخدمة أمته عن طريق الاذاعة . . .

ولعل من أهم ما قام به هناك ، تصديه لفئة غير عربية . . كانت تسعى سعيها لتنشيط اللغة العـامية ، وجعلهـا اللغة الغـالبة عـلى الأحاديث العربية المذاعة . . وكانت حجتها في ذلك ، ان الاذاعة لا

يمكنها ان تحقق الغرض الذي هدفت اليه ، وهو نفع الطبقة المتوسطة ، اذا جرت على استعمال اللغة الفصحى .. لأن هذه الطبقة من أهل المدن والفلاحين ، لا تحسن اللغة الفصحى ، على حد تعبير أصحاب القول بتنشيط اللغة العامية ، ولا تفهم اللغة العربية (القديمة) التي جرى عليها المذياع !...

وقف ابراهيم وقفة حازمة أمام هذا الرأي ؛ ونقضه يومئذ بحجج دامغة ، اظهرهم فيها على ان المذياع لم يجر على اللغة العربية القديمة ، وانه ليس في بلاد العرب من يعرف هذه اللغة بالمعنى الذي قصده أصحاب القول باللغة العامية ، غير أفراد متخصصين . وهي عندنا لغة الجاهلية التي قضى عليها القرآن باسلوبه الجديد المبتدع . وان عندنا اليوم لغة عربية صحيحة ، يصطنعها المؤلفون ومحررو الجرائد ، ويفهمها المتعلم والأمي على السواء .. وان الفلاحين ، وجلّهم من الأميين ، لتقرأ عليهم الجريدة ، فيناقشون القارىء في افتتاحيتها . ولا يعقل ان يناقش المرء في شيء لم يفهمه . هذا وان العرب ، مسلمين ومسيحيين ، يدينون بالقومية ؛ وهذا مشروع غايته القضاء على اللغة العربية ، وهي عندنا كل ما بقي من ذلك التراث الطويل العريض الذي اجتمع لنا من الفتوحات والحضارات والعلوم والآداب والفنون .. فما من عاقل اليوم ، يعرف قدر نفسه ويعتز بعربيته ، يرضى عن العبث بهذا التراث الباقي ، والقضاء عليه بيده ...

بهذه الصراحة التي عرفت لابراهيم في كل موقف ذي خطر ، هزمت تلك الفئة التي اعترفت على اثر ذلك ، بأن ابراهيم يحتاج الى

جلسات أخرى ، لتزعزع أركان عقيدته في لغته . . . واستغفر الله ، وحاشا لابراهيم . . .

ولشد ما لقي من صعوبات أثناء عمله ، اذ كانت فلسطين خلال السنوات الأربع التي خدم فيها في الاذاعة ، في ظرف دقيق جداً ، ففي السنوات الثلاث الأولى ، كانت الثورة في فلسطين قائمة على ساقها ، وفي السنة الرابعة ، كانت الحرب العالمية الأخيرة .

أما الصعوبات التي لقيها في عمله أثناء الثورة ، فتنحصر في ذلك الشغب الذي كان يدور حوله من قبل بعض الجهات اليهودية ، ووقوفها له بالمرصاد في كل ما يذيعه من أحاديث ، أو ما يذيعه غيره من المحدثين العرب ؛ فكانت تلك الجهات اليهودية تخرج كل ما يقال تخريجاً سياسياً ، وتشكل من القصة ذات اللغة البسيطة ، والوضع المحكم ، شعوباً ودولاً ، وحكومات وانتدابات . . . ولم تكن لترى في الأحاديث الأخلاقية ، إلا تحريضاً تحت قناع ديني . . وأما الدعاية فقد كانت في رأيها مبثوثة في الموضوعات التاريخية ! . زد على ذلك ، قول تلك الجهات اليهودية بأن الأحاديث النبوية ، والأمثال المشهورة التي تقدم في الاذاعة ، فيها الخطر كل الخطر !. اذ يطلب فيها من الأمهات ان ينشئن اطفالهن بعضلات قوية ؛ ومنشأ الخطر على زعمها هو ان تلك التنشئة القوية ، انما يقصد من ورائها المقدرة في المستقبل على المقاومة . . .

وعن الطريق الأقصر ، فالبرنامج العربي الذي كان يشرف عليه ابراهيم مسخر للتحريض . . كما كانت تقول الصحف اليهودية . .

وهكذا كانت توضع في الميزان جل احاديث القسم العربي في

الاذاعة ، فيناقش ابراهيم فيها ، ويحاسب عليها ، ولكنه كان يعرف كيف يقف أمام ذلك كله . . .

وانتهت الثورة ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، فكانت الرقابة على الصحف والنشر والاذاعة .

ومن قِبل بعض المشرفين عليها يومئذ ، قامت الدعاية السيئة وقام التحريض ضد ابراهيم .

وكانت قصة (عقد اللولو) أو (جزاء الأمانة) التي اقتبسها ابراهيم من كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ ، وقدمها في المذياع في أحد برامج الأطفال . فأخذ الرقيب وعصبته تلك القصة ، وخرجوها تخريجاً يكفل لهم استفزاز المستعمر . . فإذا بتلك القصة التي تشيد بالأمانة والوفاء تشهر سلاحاً في وجه ابراهيم او بالأحرى في ظهره ، من قبل من لا يعرف قيمة لمعنى الأمانة المقدس .

تكاتفت جموع الشر على ابراهيم من هنا وهناك ، فأُقيل من عمله في أول اكتوبر سنة ١٩٤٠ .

واذا كان بوسع أحد من الناس ، ان يبيع ضميره ، ويضرب بمبدئه وعقيدته عرض الحائط ، فيظل هانئاً بعمله ، قرير العين ، فما كان بوسع ابراهيم ان يفعل ذلك ، وهو الأبي النفس ، العيوف للاستخذاء والذل ، وهو الذي كان يتحول عن الحظ السعيد يأتيه وفيه جرح لكبريائه وكرامته ، أو خلاف لعقيدته ، كما يتحول المؤمن الصادق عن وسوسة الشيطان .

اشمأزت نفس ابراهيم ، وعافت البقاء بين قوم لا اخلاق

لهم .. فآثر الرحيل عن وطنه الذي تفانى في حبه ، وأذاب روحه في مناجاته ، وعزم على الرحيل الى العراق ، بلد العروبة والعزة .

وفي مساء اليوم الذي أُقيل فيه ابراهيم من عمله ، خف صديقه أكرم بك الركابي الى السيد طالب مشتاق ، قنصل العراق في القدس يومئذ ، وأطلعه على ما جرى بابراهيم ؛ وفي محادثة تلفونية من قبل السيد طالب ، الصديق المحب ، سجل اسم ابراهيم في وزارة المعارف في بغداد ليزاول مهنة التعليم في أحد معاهد العلم هناك ؛ ولقد كان ذلك بسرعة ، ودون أخذ ورد ، اذ كان ابراهيم معروفاً لدى الأوساط الأدبية الرفيعة في العراق .

ولقد لاقى من والده معارضة شديدة بشأن ذلك الرحيل ، وإلحاحاً عليه بالبقاء عنده في نابلس ، ولكن ابراهيم ، على بره بوالده براً يفوق الوصف ، وعلى تعلقه العجيب بوالديه واخوته ـ ولقد كان هذا البر وهذا التعلق من خلائق ابراهيم الممتازة ـ سافر الى العراق وهو عازم عزماً أكيداً على عدم العودة الى فلسطين مدى الحياة !

ومن هؤلاء الذين يصدق فيهم قول يزيد بن المهلب : « هم اهل العراق ، اهل السبق والسباق ، ومكارم الأخلاق » وجد ابراهيم على أبواب بغداد من ينتظره من الأصحاب العراقيين ؛ وفي بيت السيد محمد علي مصطفى ، الاستاذ في دار المعلمين العليا ، نزل ابراهيم وأهله معززين مكرمين ، اذ لم يكن قد تهيأ له بيت بعد . وفي دار المعلمين في الرستمية ، باشر عمله .

كان للمعاملة السيئة التي لقيها ابراهيم في وطنه وبين قومه تأثير كبير على بنيته النحيلة ؛ فلم تكن تلك البنية لتحتمل كل هذه الآلام

النفسية التي كابدها ابراهيم خلال شهور ، وهو الرقيق الشعور المرهف الاحساس الى حد يكاد يكون مرضاً . فلم يكد يمضي شهران على إقامته في العراق حتى وقع فريسة العلة والسقم ، مما حمله الى العودة الى نابلس قبل انتهاء الفصل الدراسي الثاني .

ونهكت الاسقام ابراهيم ، فنقل الى المستشفى الفرنسي في القدس ، وبعد أيام قليلة ، وفي مساء الجمعة ، الثاني من شهر مايو سنة ١٩٤١ اسند ابراهيم رأسه الى صدر أمه ، وقد نزف دمه ، وخارت قواه ، وهناك اسلم روحه الطاهرة الى بارئه ، واستراح استراحة الأبد .

كان لابراهيم ـ رحمه الله ـ مصحف صغير ، لا يخلو منه جيبه ، تبركاً به من جهة ، وليكون في متناول يده كل حين من جهة أخرى . فلما توفاه بارئه ، كان ذلك المصحف تحت وسادته ، ولا تزال الى اليوم ثنية ثناها في إحدى صفحات سورة (التوبة) . وكانت هذه الآيات الشريفة آخر ما تلاه ابراهيم من كتاب الله اثناء مرضه ؛ ولقد آثرت ان اختم بها الحديث عن حياة ابراهيم إرضاء لروحه .

﴿ الّذين آمَنُوا وجَاهَدوا في سَبِيلِ الله بأمْوَالِهِم وأنفُسِهِم أعْظَم دَرَجَةً عِنْدَ الله ، وأُولئِكَ هُم الفائِزون . يُبَشِّرهُم رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْه ورِضْوَانٍ وجَنّاتٍ لَهُمْ فيها نَعِيمٌ مُقِيم . خالِدِينَ فِيها أبَداً إنَّ الله عِنْدَه أجْرٌ عَظِيم ﴾ .

ديـوان ابراهيـم

ملائكة الرحمة[1]

بيضُ الحمائم حسبهنّهْ أني أُردِّدُ سجعهنّهْ
رمزُ السلامة والوداعة منذ بدءِ الخلق هُنَّهْ
في كلِّ روض فوق دانيهِ القطوف لهنَّ أنّهْ
ويملْنَ والأغصانَ ما خطَرَ النسيمُ بروضهنّهْ
فإذا صلاهنَّ الهجيرُ هبْنَ نحو غديرهنّهْ
يهبطن بعد الحَوْم مثلَ الوحي ، لا تدري بهنّهْ
فإذا وقعن على الغدير ترتّبَتْ أسرابُهنّهْ
صفّينْ طول الضّفّتين تعرَّجا بوقوفهنّهْ
كلٌّ تقبِّلُ رسمَها في الماءِ ساعةَ شُرْبهنّهْ
يطفئْنَ حرَّ جسومهنَّ بغمسهنَّ صدورَهنّهْ
يقعُ الرَّشاشُ إذا انتفضْنَ لآلئاً لرؤوسهنّهْ
ويطِرْنَ بعد الابتراد الى الغصونِ مهودهنّهْ
تُنبيك أجنحةٌ تصفِّقُ كيف كانَ سرورهنّهْ
ويُقرُّ عينَك عَبْثُهُنَّ ، إذا جثمن ، بريشهنّهْ
وتخالهنَّ بلا رؤوس حين يُقْبلُ ليلهنّهْ

---

(١) في أواخر عام ١٩٢٤ دخل ابراهيم مستشفى الجامعة الاميركية ببيروت ليعالج من القرحة في معدته ، فاستمر في المستشفى مدة غير قصيرة ثم عاد الى بلده نابلس للنقاهة ؛ ومن وحي إقامته في المستشفى المذكور جاءت هذه القصيدة .

أخفينهـا تحت الجنـاح ونمن مـلءَ جفـونهنّـهْ
كم هجنني ورويتُ عنهنَّ الهـديـلَ ، فـديتهنّـهْ
المحسنـاتُ إلى المريض غـدونَ أشبـاهـاً لهنّـهْ
الرَّوض كـالمستشفيـات ، دواؤهـا إينـاسهنّهْ
مـا الكهـربـاء وطبّها بـأجـلَّ من نـظراتهنّـهْ
يشفي العليـلَ عنـاؤهنَّ وعـطفهنَّ ولـطفهنّـهْ
مُـرُّ الـدواء بفيـك حلوٌ من عـذوبـة نـطقهنّـهْ
مهـلاً ، فعنـدي فـارق بـين الحـمام وبينهنّـهْ
فلربمـا انقـطع الحـمائم في الـدُّجى عن شـدوهنّهْ
أمّـا جميـلُ المحسنـات ففي النهـار وفي الـدجنّهْ

١٩٢٤

ذكرى حمية أهل الشام

هـو ذا البحـر مـزبـداً يتعـالى   إثـر بـعض أمـواجـه تتـوالى
تلطم الصخـر كـبريـاءً وعنفاً   ثـم تـرتـد للخصم خـذالى
بـضـجـيـج كـأنـه زجـل الـرعـد ورجـف تخـالـه زلـزالا
ما ونت عن جهادها الدهر لكن   لـطف الصبح كـرّهـا والنضـالا
وهي تستـأنف الجهـادَ بعـزمٍ   كـلَّ يـومٍ اذا النهـار تعـالى

* * *

عنـد ذاك الخصمّ بقعـة أرض   قـدَّر الله منحـهـا استـقـلالا
هي حـدّ الســوريتين شمـالاً   وجـنـوبـاً ومـا تنـوء مجـالا
لست تلقى سـوريتـين ولكـن   قـيـل هـذا تفـنـنـاً وضـلالا
يبتغون التفريق في الجسد الواحد   خـابت تلك الشيـاطـين فـالا
خلِّ عني وذكـر من اعتقـوا العبـد وشـدّوا من الـطليقِ العقـالا
عنـد ذاك الخصم بقعـة أرض   حـرس الله سهلهـا والجبـالا
لا تـرى في فنـائهـا آدميـاً   وهي آوت صـوادحـاً وصـلالا
شمسنـا دون شمسهـا تتجـلى   بـدرنـا دون بـدرهـا يتـلالا
وسكون الدجى يفك عن القلب   قـيـوداً ويـبـعـث الآمـالا
ويهب النسيم في السحر الداكن   يحـيـي مـن الـزهـور تـلالا

زانها مـن لآلي الـطلّ تيـجـان   زهت رونقـاً وفـاضت جمـالا
فـاذا اجتـاز تلكم الارض غـاد   يلبس الـطلّ ساقـه خلخـالا
وتـرى الـطير نـافـرات خفـافاً   وثـقـالاً ويمـنـةً وشـمـالا
ويلوح الصبـاح لـونـاً فلونـا   كلما الشمس قـاربته استحـالا
وكـذا البحـر خـاشـع مستكـين   وهـو يُكْسَى من كل لـون شـالا
يـا لهـا من مـظاهـر تملك الحس وتـوحي لنـاظـريهـا الخيـالا
أيهـا السـائـر المجـدّ ، رويـداً   واخفض الطرف عندهـا اجلالا
تلك مـأوى (حـريـة) سلبت منـا قـديمـاً واليـوم عـزت منـالا
ايـه يـا فتنـة الشعـوب ويـا انشـودة الكـون شقتنـا أجيـالا
لـك وجـه مـلائكي وسـيـم   نـوره يـفعـم القـلوب جـلالا
ومـزاج جـهـنـمـي عـتـي   يصـدع الجـور يصهـر الاغـلالا
صـانـك الله كـم فـداك وفي   او تحصـين كم أبـدت رجـالا ؟
أنـا استغفـر الـوفـا لم يبيـدوا   يـوم خلدت بعـدهـم أعـمالا

* * *

لـك في تـرب ميسلون دفـين   كـان للذائـدين عنـك مثـالا
مـات في ميعة الشبـاب شهيـدا   وكـذا الحـر لا يمـوت اكتهـالا
في سبيـل الاوطان سـالت دمـاه   « ذي المعالي فَلْيَعْلُوْن من تعالى »
فـسـلام عـليـه يـوم دعـاه   وطنٌ مـرهق فـصـال وجـالا
وسـلام عـليـه يـوم أريـق الـدم منـه وضـمـخ الاجـبـالا
هـذه روحـه أطلت عـلى الشـام تـزور الـربى وتغشى الـظلالا
وتحض الـرجـال فيهـا على تضحيـة النفس مـا اهينـوا احتـلالا

يـوم كـانـت قلوبنـا تتـلظى والعـدى توسـع البـلاد احتـلالا
بـرجيـم لّمـا أتـاهـم وقـاح كـان إتيـانـه عـليـه وبـالا
لم يبت غـير ليلة كـان فيهـا يبصر المـوت حولـه أشكـالا
وكـأني بـه تجـاذبـه الاوهـام رعبـاً ، فيسـتـوى اجـفـالا
قـلق يـرقـب الـصبـاح فـلما ان تجلّى شـد الـرحـال وقـالا
الـفـرار الـفـرار ألـفيتُ في الـشـام نـكـالاً وفـتـيـة أبـطالا
ولـو ان المـقـام طـال ببـيروت لـكـان المـصـير أسـوأ حـالا

* * *

هـذه شيمـة الكـرام بني الشـام سـمت همـة وطـابـت فعـالا
عـربي إبـاؤكـم امـويّ لا أبـاد الـزمـان تلك الخـلالا
كـل جـرح أصـابكم حـل منـا في صميم القلوب يـأبى اندمـالا
يحرس الله مجدنـا مـا بـذلنـا في سبيـل الاوطان نفسـاً ومـالا

٢٤ مايس ١٩٢٥

عارضي نوحي بسجع

خطرت بالأمس ريحٌ صرصرُ
فالتوى غصن شبابي الأخضر
ورأيت الزهر عنه ينثر
مثلمـا ينثـر دمعـي

يا شبابي أنت أحرى بدمي
لا بدمعي أو شكايات فمي
خلِّ عنــي فصحابي لوّمــي
ملأوا باللوم سمعي

سئموا نوحي وعافوا منطقي
هم ذوو أفئدة لــم تخفق
أنا ـ إن يدروا ـ بحتفي ملتقِ
وغداً يهدأ روعي

وطأة الليل على قلبي الحزين
مزجت منه بأنفاسي أنين
ما له وقع بسمع العالمين
وبسمعي أي وقع

أنت يا ورقاء من دون الأنام
تسمعين النوح مني في الظلام
فاذا ما نحت يا رمز السلام
عارضي نوحي بسجع

يا موطني

ألقيت في حفلة توزيع الشهادات في مدرسة النجاح النابلسية

خطر المسا بوشاحه المتلون   بين الربى يهب الكرى للأعين
وتلمس الزهر الحييَّ فاطرقت   أجفانه شأن المحب المذعن
ودعا الطيور الى المبيت فرفرفت   فوق الوكون لها لحون الارغن
وتسللت نسماته في إثره   فإذا الغصون بها ترنح مدمن
آمال أيام الربيع جميعها   حسن (وعيبال) اكتسى بالأحسن
جبل له بين الضلوع صبابة   كادت تحول الى سقام مزمن
وتفجرت شعراً بقلبي دافقاً   فسكبت صافيه ليشرب موطني

* * *

يا موطناً قرع العداة صفاته   أشجيتني ومن الرقاد منعتني
يا موطناً طعن العداة فؤاده   قد كنت من سكينهم في مأمن
لهفي عليك وما التهافي بعدما   نزلوا حماك على سبيل هين
وأتوك يبدون الوداد وكلهم   يزهو بثوب بالخداع مبطن
قد كنت أحسب في التمدن نعمة   حتى رأيت شراسة المتمدن
فاذا بجانب رفقه أكر الوغى   وإذا الحديد مع الكلام اللين

الـذنب ذنبي يـوم همت بحبهم   يـا مـوطني هـذا فؤادي فـاطعن
واغمـر جراحـك في دمي فلعله   يجـدي فتـبرأ بعـده يـا مــوطني

* * *

عجبـاً لقـومي مقعـدين ونـومـاً   وعـدوهم عن سحقهم لا ينثني
عجبــاً لقـومي كلهم بُكْمٌ ومن   ينــطق يقــل يـــا ليتني ولعـلني
لم يـوجسون من الحقيقـة خيفـة   لم يصـدفون عن الـطريق البين
ان البــلاد كــريمــة يـــا ليتهــا   ضنت عـلى من عقهـا بـالمـدفن

* * *

قالوا الشباب . . فقلت سيف باتر   واذا تثقف كـان صـافي المعـدن
مـرحى لشبـان البـلاد اذا غـدا   كــل بـغــير بــلاده لم يـفــتـن
مـرحى لشبـان البــلاد فـما لهم   إلاّ السمـو إلى العلى من ديـدن
نهض الشباب يطالبون بمجدهم   يــا أيهـا الــوطن المجيـد تيمن

١٦ يوليه ١٩٢٥

يا سراة البلاد

يا سراةَ البلاد يكفي البلادا | ما أذاب القلوبَ والاكبادا
انتداب أحدُّ من شفرة السيف | وأورى من المنايا زنادا
وعد بلفور دكّها فلماذا | تجعلون الأنقاض منها رمادا
ما الذي تفعلون والجو مربدٌّ | وهذي الاعداء تقضي المرادا
أفرغتم من كل أمرٍ سوى | المجلس يحتاج همةً وجهادا
أحبط الله سعيكم أَلِحبِّ | الذات قمتم تهيّئونَ العتادا
تنبذون الأوطان في طلب | المنصب والدين والهدى والرشادا
ان في الموطن العزيز سواه | ألف شغل فأوسعوها اجتهادا
وطن بائس يباع وأنتم | لا تزالون تخدعون العبادا
مثخن بالجراح أبرأه الله | فهلا كنتم له عوّادا
كيف يلقى من هادميه بناةً | كيف يرجو من جارحيه ضمادا
يا جناة على البلاد بدعوى | الخير والبر ، لا نعمتم رقادا
قام من بينكم سماسرة السوء | فهل تشتكون ثم اقتصادا
في غدٍ ينشأ الصغار فيبغون | تلاداً وما تركتم تلادا
بعتموه إلى العدو فمن أين يلاقون ملجأ ومهادا
أنتم اليوم تزرعون فساداً | وغداً سوف يثمر استعبادا
يا سماء انقضيّ ويا أرض ميدي | قتلت أمةً وبادت بلادا

٢٩ آب ١٩٢٥

عيناي مطبقتان

القلب متصــل الـوجيف تكـاد تلفُـظه ضلوعي
والليــل لم يهب الكـرى لكن حبـانٍي بـالـدمـوع
والصبــح في مهــوىً سحيق لا يبشّر بــالــطلوع
والكون نائم   والفكر هائم
يتلمس الحسنــاء فــاتـنتي بهــاتيــك الــربــوع

* * *

عينــاي مـطبقتــان . . . لكني أرى تلك النجـوم
متــألقــات بــالفضــاء عــلى غـيــاهبــه تـعــوم
فــإخــال فــاتـنـتي تمــتــع بـيــنـهـن بمــا تــروم
فأجيل عينا   تنهلّ حزنا
فـأرى النجوم تـريد أن تنقض فـوقي كـالـرجـوم

* * *

لا شيء يخترق السكـون سـوى هـديـل حمـائمي
حملتــه لي بعض الـنســائـم في الــظلام القــاتـم

فـوددت لــو يشفـى الفـؤاد من الأسى المتقــادم
فاذا الهديل لا يستحيل
قـلبــاً يـســير بـه الهــوى في لجـه المـتــلاطـم

* * *

عـبـثــاً أخـفـف عـن فـؤاد لا يــقــر لــه قــرار
عــبـثــاً أعــلله بــلقــيــاهــا وقــد شط المــزار
حــذرتــه حبــاً عــواقبــه الـلواعـج والـدمــار
لله قلب أغواه حبٌّ
فــاذا بــه جـم العـثــار ويـسـتـجــير ولا يجــار

١٩٢٥

شوق وعتاب

كيف أغــويتني وأمعنت صــدا   يـا حبيباً أعـطى قليـلاً وأكـدى
ودَّ قلبي لــو يجهــل الحب لمــا   ان رآه يحــول سـقــماً ووجــدا
وشكت أضلعي من القلب ناراً   هل عهدن الهوى سلاماً وبردا ؟!

* * *

طلع الفجـر بـاسـماً ، فتأمــل   بنجـوم الـدجى تَـرَنَّـحُ سهـدا
هي مثـلي حـيرى وعــما قـريب   تتــوارى مـع الـظلام وتهــدا
لـك حمّلتها رســالــة شــوق   وعتـاب ، أظنهـا لا تؤدى . . .

* * *

قلت للطير حـين أصبـح يشـدو   «أيها الطير عم صبـاحاً!» فـردّا
ثـم غنى أنـشــودة عن حـبيـب   لم يكن ظـالمـاً ولا خـان عهـدا
أضرم الــذكـريــات بي ثم ولى   لا رماك الصياد. . أسرفت جدا

* * *

جمــع الله في محيــا حـبـيـبـي   أقحــوانـاً ، ويــاسمينـاً وورداً

وابتســـامـاً لا يهجــر الثغـر إلا عنـد قولي لـه : أتنجز وعـدا ؟
لا عرفت الوفا ، ولا كان وعـدٌ يجعـل البسمـة الـوديعـة حقـدا

الجامعة الاميركية **١٦ أيار ١٩٢٦**

ذكرى دمشق

بمناسبة استشهاد المجاهد احمد مريود

هـادىء القلب مـطبق الاجفـان　　مـطلق الـروح راقـد الجثـمان
مَلَكٌ عنـد رأسـه بـاسم الثغـر　　جـنـاحـاه فـوقـه يخـفـقـان
غـادة تمـلأ الـكؤوس وخَـود　　تنضح الجرح من رحيق الجنان
وحـواليـه طـاف أسراب حـور　　بغصـون الـنخيـل والـريحان
وتهاوى الطيور عن شجر الخلد　　تَـغَـنَّى بـأعـذب الالحـان
من كبـير يـزهـو بـأبهى ريـاش　　وصـغـير مصـوّر مـن حـنـان
وأفـاق الـشهـيـد منشرح الـصـدر شكـوراً لأنـعـم الـرحمـان
واستـوى جـالسـاً عـلى رفـرف خضر غـوال وعبقـري حسـان
وسـقـتـه مـلائـك الله خمـراً　　جعلتـه حيّـاً مـدى الازمـان

* * *

وتجـلّت أنـوار مـن مَـلَك　　الملك فخـرَّ الحضـور للأذقـان
ثم حيَّى ذاك الشهيـد ونـادى　　أيهـذا الشهـيـد لسـت بفـانِ
رضي الله عن جهـادك فـاخـلد　　وتبـوّأ في الخلد أعـلى مـكـان
وخلود الـنعيـم عنـدي جـزاء　　للذي مـات في هـوى الاوطـان

* * *

ما مصير الشهيد يا ربّ إلّا غبطة عند راسخ الايمان
غير أن الشباب ان كان غضّاً والتوى الغصن منه في الريعان
وتراءت أزهاره ذابلات عبثت للرياح فيها يدان
تعذر العين في البكاء عليه دمعَ سلوى ، لكن بلا سلوان

* * *

رب عفواً ان راعنا فَقْدُ ندب ضاحك الوجه في قطوب الزمان
صارم كان مغمداً صقلته يدُ حرية أُنوفٍ حصان
شهرته حتى أذابته مسحاً في رقاب الاعداء يوم الطعان
يا دموعي وهبتك القلب ان لم تقنعي بالقريح من أجفاني
فهو قلبي أليف همي وحزني وحليف الزفير والخفقان

* * *

يا ربوع الفيحاء أنت عروس أيّمتها طوارق الحدثان
الاكاليل لم تزل غضة الزهر ولم تنقطع أغاني الغواني
والمغاني مأهولة والروابي باديات نواضراً للعيان
والندامى بين الكؤوس قيام رنحتهم مدامة الغدران
والعذارى سوافر لاهيات بالأراجيح وهي في الاغصان
يا عروس الدنيا وما حال قلب فجعته أحزانه بالأماني
الخطوب اللائي نزلن جسام قد أحلن الهنا إلى أحزان
والأسى في الضلوع أشبه شيء بك لما قذفت بالنيران

منك دمع ومن محبك دمع   بردى والمحب متفقان
رحل العام عنك جهم المحيّا   مكفهرّاً فكيف حال الثاني ؟

* * *

لا ترعك الخطوب يا ابنة مروان   ولوذي بالله والفتيان
الشباب النضير والأمل الثابت   خلّان كيف يفترقان
والشباب النضير ان سيم خسفاً   ثائر ، باسل وَثوب الجنان
لفرنسا أن تحشد الجيش كالسيل   وتبدي عجائب الطيران . . .
لفرنسا ما تشتهي ، لفرنسا   ما تمنى فموعد الثأر دان

* * *

يا لهول الوغى وقد هاج سلطان   واضحى يجيشُ كالبركان
أسدٌ فوق ضامر عربي   شاهر للوغى حساماً يماني
أرهقته المنون ، ثم أنامته   ليوم محجّل أرونان
« صفحتاه عقيقتان من البرق   وفي مضربيه صاعقتان »

* * *

وطبيب أغرّ يُعطي دواء   لسقام الأوطان . . . والأبدان . .
أليوثاً أفلتَّ يا سجن أرواد   تُذيق العداة كأس الهوان
أي حرب أثار ظلمُ فرنسا   فدهاها ما ليس بالحسبان

المغاوير حضرٌ وبداة زمجروا دون أمة الطغيان
والجياد العتاق وهي طرادٍ مسرعات بهم الى الميدان
والسيوف الرقاق ظمأى دماء تشتكي بثها الى المرّان
فاسألي عن فعالهم يا فرنسا ان ابناءهم لدى غملان
وأقيمي ممالكاً وعروشاً وافزعي للخداع والبهتان
ان مَن تمنحين مجداً وملكاً ورثوا الملك عن بني مروان
سوف لا ينثنون عن طلب الحق قتالا أو تضرعي للأمان

* * *

إيه روح الشهيد زوري فلسطين وطوفي قدسيةً بالمغاني
وانزعي من صدورنا جمرة الحقد وسلّي سجيّة الشنآن
همّ إخواننا الجهاد واضحى همّنا في مجالسٍ ولجان
أيها العاشق المناصبَ مهلاً أبتاج ظفرت أم صولجان
كيف أنساك حبّ ذاتك مهداً أنت لولاه كنت للنسيان
يا فلسطين هل لديك سريّ غير ذي مطمع ولا متوان
ليس عندي سوى التلهف أهديه وقلب موله بك عان
وشعور نسقته في بياني ودموع أودعتها أشجاني
هل أمنّا العداة حتى رقدنا أم وجدنا الهوان حلو المجاني
أين منا الأبي ؟ أين المعزّي أين منّا معذب الوجدان
فاتقوا الله واذكروا نهضة الشام وخصّوا العدوّ بالاضغان

نابلس ، ١٦ تموز ١٩٢٦

عند شباكي (*)

بُكوري عند شباكي لأنْشق طيبَ ريّاك
ولا سلوى سوى نجوى أُسرُّ بها لمغناكِ
أُسرِّحُ نحوه طرفاً أُمنِّيه بمرآكِ
وطرفاً في قرار (الذّار) موعوداً بلقياكِ
تمرُّ عليَّ ساعاتٌ أُشيِّعُها بذكراكِ
وأخشى أن يرفَّ الجفنُ يحرمني محيّاكِ

* * *

طلعتِ، فما لقلبي شاءَ يفضحُني فَسَمّاكِ!
صباحَ النورِ! من دنفٍ تنهّد، ثمَّ حيّاكِ..
سلامَ الرُّوحِ والريحان، أنتِ نعيمُ دنياكِ
مررتِ، وقيلَ مرَّ الناسُ، هل أبصرتُ إلّاكِ؟!

* * *

(*) نشرت في العدد ٣٩ من الأحرار المصورة.

وداعاً يا معذبتي وعينُ الله ترعاك
وداعَ سُوَيْعةٍ تمضي على جمرٍ وألقاكِ
وأنسى ليلةً سَلَفَتْ وطرفي ساهرٌ باكِ
ومضجعَ أضلعٍ مُنِيَتْ بنيرانٍ وأشواكِ

***

شكرتُ الله أنَّ (الدّار) تجمعني وإيّاكِ
وتُلْقينَ السُّؤالَ عليَّ في أمْرٍ تَعَدَّاكِ
وحين أُجيبُ تمنحني ابتسامَ الشكرِ عيناكِ

***

هجرتُ (الدَّارَ) أضربُ في فضاءِ الله لولاكِ
ولولا رحمة العينيْن قلباً بات يهواكَ
وعطفٌ من لدنكِ على أسىً في النفسِ فتّاكِ
إذن لَرَأيْتني يوماً صريعاً تحتَ شباكي

١٩٢٦

في المكتبة[1]

وغريرةٍ في المكتبه بجمالِها متنقِّبَهْ
أبصرتُها عند الصباحِ الغضِّ تشبه كوْكَبَهْ
جلستْ لتقرأ أو لتكتبَ ما المعلمُ رتّبَهْ
فدنوْتُ أسْتَرِقُ الخطى حتّى جلستُ بمقرُبَهْ
وحبستُ ، حتى لا أرى ، أنفاسيَ المتلهّبهْ
ونهيتُ قلبي عن خفوقٍ فاضحٍ ، فتجنّبهْ

* * *

راقبتُها ، فشهدتُ أنَّ الله أجْزَلَ في الهِبَهْ
حملَ الثّرى منها على نورِ اليديْن وقلّبَهْ
وسقاه في الفردوس مخْتومَ الرحيق وركّبِهْ
فإذا بها مَلَكٌ تنزَّلَ للقلوبِ المتعَبَهْ

(١) «الآنسة م. ص فتنة طلعت سنة ١٩٢٦ في الجامعة الاميركية فأحيت قلوباً وسحقت قلوباً ، ولم أكن قد تورطت بغرام حتى هذا التاريخ ، فتورطت ودخلت المعركة وبلوت حسنات وسيئات . . . » (من تعليقات ابراهيم) . وم . ص من كفركنة (قضاء الناصرة) وهي بلدة مشهورة بالرمان ، يقول فيها عمر فروخ زميل ابراهيم وصديقه : « لم تكن جميلة بالمعنى الذي تواضع عليه واضعو أقيسة الجمال ، كانت فتاة فارعة الطول سمراء ، مفصلة نواحي الوجه تجول على وجهها ابتسامة خفيفة اذا كانت غافلة في مقعدها او مسيرها . . . الخ (شاعران معاصران : ٣٢) .

يا ليتَ حظَّ كتابها لضلوعيَ المتعذِّبَهْ
حَضَنَتْهُ تقرأُ ما حوى وحَنَتْ عليه وما انتبَهْ
فإذا انتهى وجهٌ ونال ذكاؤها ما استوعبَهْ
سَمَحَتْ لأنْمُلِها الجميلِ بريقِها كي تَقْلِبَهْ
وسمعتُ وهْيَ تُغَمْغِمُ الكلماتِ نَجْوى مُطْرِبَهْ
ورأيتُ في الفمِ بِدْعَةً خلَّابةً مستَعْذبَهْ ...
إحدى الثنايا النيِّراتِ بَدَتْ ، وليس لها شَبَهْ
مثلومةً من طرفِها لا تَحْسَبَنها مَثْلَبَهْ ..
هِيَ ، لو علمتَ ، من المحاسنِ عند أرفع مرتبهْ
هيَ مَصْدَرُ (السيِّناتِ) تُكْسِبُها صدىً ما أعذبهْ

* * *

وأما وقَلبٍ قد رأتْ في السّاجدين تَقَلُّبَهْ
صَلّى لجبّارِ الجمالِ ، ولا يزالُ مُعَذِّبَهْ
خَفَقانُهُ متواصلٌ والليلُ ينشرُ غيْهبَهْ
متعذِّبٌ بنهارِهِ حتى يزورَ المكتبهْ ..
وَأمَا وعينِكِ والقُوى السِّحريّةِ المتحجِّبهْ
ما رُمْتُ أكثَرَ من حديثٍ ، طيبُ ثغرِكِ طَيّبَهْ
وأرومُ سِنّكِ ضاحكاً حتّى يلوحَ وأرْقُبَهْ

١٩٢٦

(نشرت في العدد ٤٠ من الأحرار المصورة)

سلام عليك

سلامٌ عليك ولو شفَّني   من الوجد واليأس ما شفني
أداري غرامك جهد الحليم   فما يستريح وما أنثني
وقلبي كما يشتهيه الهوى   لغير جمالك لم يُذعن
خفوقٌ ولو شئتِ سكنته   ولو شاء غيرك لم يسكن
سقيم ولو شئت أبرأته   بعطفك من دائه المزمن
اذا كنت منه تجاه اليمين   يخفُّ الى جانبي الأيمن
ألا إنه مرهق يستجير   فترثي له أدمعُ الأعين

* * *

٣١ كانون الأول ١٩٢٦

تحية الريحاني(*)

مـرحبـاً بـالثقـافـة الغـربيـه   تتجـلى في روحـك الشرقيـه
مرحباً بـالحكيم محيي المعري   مـرحبـاً بـالنبـوغ والعبقـريـه
مـرحبـاً بـالعـظيم أكـرم ضيف   لمـلوك الجـزيـرة الـعـربـيـه
فيلسوف الفريكةِ الصائب الرأي   ربـيـب الحـريـة الـفـكـريـه
لم يـزدنـا قـدومـك اليـوم علماً   بـك يا صـاحب البنان النـديه
حملت هـذه البـنـان يـراعـاً   فبلونـا كيف القـوى السحـريـه
فاض حتى غدوتَ والنـاس منه   بعيـون عـن أن تـراك غنيـه
عَـيْبُـهُ انـه لـسـان حـسـود   نَشَرَ الفضـل منك بـين الـبريـه
فيـه مـا شـاء ذو الحجى وتمنى   من غـذاء لـه ومـن أمـنيـه
حكمـةٌ تمـلأ الصـدور ضيـاء   خـبرة الـدهـر أمّهـا والـرويه
وهـدى جـائـرٍ وسلوى حـزين   من ضمـير حيّ وأصـدق نيـه
بـبـيـان كـأنـه نَـفَـحـاتٌ   حمـلتهـا يـد النـسيم زكـيـه

* * *

جئت والقـومُ يا أمـينُ سكـارى   وعـبيـدُ المـآرب الـشـخـصيـه
جئـت والقـوم ذاهـلون نـيـام   قـد أضاعـوا القضيـةَ الـوطنيـه

(*) ألقيت في النادي العربي .

جئت والقوم في فلسطين نهب   لأيادي المطامع الاشعبيه
بلدي كان قدوة لفلسطين   شديداً دفاعه في القضيه
كان ذا نخوة وفيه حميه   أين منها حمية الجاهليه
كان يدعى حصنَ البلاد فأضحى   وفلسطين منه تلقى الرزيه
نبِّه القوم يا أمين وسلهم   أين باتت تلك النفوس الأبيه
جعلتهم اهواؤهم ساعة الشدة   شتى القلوب سود الطويه
بينما أنت بالجزيرة تسعى   لوفاق ووحدة قوميه
وترود القفار وهي سعير   من حجازيةٍ الى نجديه
دبَّ فينا الشقاق يا لبلاد   أصبحت تحت رحمة الحزبيه
دمعة يا أمين قد غاض دمعي   وفلسطين منه ليست رويّه
صرخة يا أمين قد بُحَّ صوتي   أتراهم في رقدة أبديه ؟
بثَّ فيهم روحاً جديداً يفيقوا   ويروا كم يد تعيث خفيه

* * *

ان أكن مسرفاً بلومي فلومي   صادر عن محبتي القلبيه
وعزيز عليَّ أن تبصر العين   فلسطين وهي تعطى هديه
وفلسطين لن تكون ضحيه   قبل أن تذهب النفوس ضحيه
أيها الفيلسوف جئت بخير   فسلاماً وراحةً وتحيه
دمت حتى تشاهد العرب طراً   في ظلال السلام والحريه

* * *

١٩ نيسان ٢٧...

نزيهة(١)

رأيتها ألف مرة فلم تجدْ لي بنظره
حتى غدوت وما لي على التجلُّد قدره
فباح بالحب دمعي ونلت بالحب شهره
فهل أتاك حديثي ففيه للغيد عبره
يا غادة في جبين الجمال واللطف غُره
متى تجودين للنفس بالهنا والمسرّه
عجبت للحب إني أرى الحسان بكثره
خلقن من طلعة الفجر وهو يفتح صدره
فما ابتغيتُ وعينيك من هواهنَّ ذره
لكن لحسنك والله فتّح الحب زهره
أنت الحديث وشغلي لدى العشي وبكره
لم تغربي يا ذكاء الجمال عنّيَ فتره
فهل لقلب كئيب يا منيتي من مَبَرَّه

* * *

مايس ١٩٢٧

(١) اقتصرنا منها على أبيات مختارة .

كارثة نابلس

أدموعُ النساءِ والأطفالِ ... تجرح القلب أم دموع الرجالِ
بلدٌ كان آمناً مطمئناً ... فرماه القضاءُ بالزلزالِ
هزَّةٌ ، إثر هزَّة تركته ... طللاً دارساً من الأطلالِ
مادت الأرضُ ثم شَبَّتْ وألقت ... ما على ظهرها من الأثقال
فتهاوتْ ذات اليمين ديارٌ ... لفظت أهلها ، وذات الشمال
بعجاجٍ تُثيره تَرَكَ الدنيا ... ظلاماً ، وشمسها في الزوال
فإذا الدور وهي إمّا قبورٌ ... تحتها أهلُها ، وإمّا خوال
وأرقُّ النسيم لو مرَّ بالقائم ... منها لدكّه ، فهو بال

لا تقف سائلاً بنابلس الثكلى ... فما عندها مجيبُ سؤال
أرأيت الطيور تنفر ذعراً ... من خفافٍ عن سرحها وثقال
هكذا نُفِّرتْ عن الدور أهلٌ ... عمروها ، الى كهوف الجبال
أرسومٌ وكنَّ قبل صروحاً ... كلُّ صرحٍ عاتٍ على الدهر عالِ
فالتحفنا السماء بعد ستورٍ ... وشفوفٍ مُذالةٍ وحجال
وليالي الأعراس يا لهف قلبي ... عطّلتها تقلّباتُ الليالي(١)
أضحك الدهر يا ابن ودي وأبكي ... يوم لم يخطر الأسى في بال

---

(١) كانت تقام في اللحظة التي وقع فيها الزلزال حفلة زفاف كبرى للصديق السيد [illegible] المصري واخوانه وابناء عمه .

رُبَّ وادٍ كـأنّـه النَهَـرُ الأخضرُ يختـال في بـرودِ الجمال
خـطرات النسيم ذاتُ اعتلالٍ فيه والدّوح مـائس باختيـال
غَشِيَتْهُ الـطيـور مختلفـات رائعـات الألوان والأشكـال
صـادحات عـلى أرائك في الأيْـك يَصِلْنَ الغـدوَّ بـالآصـال

نغمات أرسلْنَها ذات تسجيعٍ وكـرٍّ في اللحن واسترسـال
يـا طيور الـوادي غليـل فؤادي كـان يشفيه بـردُ تلكَ الـظلال
يـا طيور الـوادي رزايـا بـلادي مَـزَجَتْ لي الغناء بـالاعـوال
كـان واديك لـلسرور مـآلاً فـغـدا بـالـثبـور شرَّ مـآلَ
كـان (عيبال) من صـدى الأنس يهتزُّ فـماذا سمعت في عيبـالِ[1]
كان (جرزيم) منزهاً والغواني في ظـلال منه ومـاءٍ زلالِ[2]
أدمـوع عـيـونـه ؟ أصـبَـاه زفـرات الارمـال والاثـكـال

يـا يد المـوت ما عهدتُ أُلوفاً منك هـوجـاً تمتد لـلإغتيـال
طغت الحـرب خمسة مـا دهتنـا كـثـوانٍ مَـرَّتْ بـغـير قـتـال
ووجـوه المنـون شتّى ، فبـانت كـلُّهـا عـنـد هـذه الأهـوال
مـن وحـيـدٍ لأمِّـه وأبـيـه جمـعـوه مـفـرَّقَ الأوصـال
ومكبٍّ عـلى بنيـه بـوجـهٍ خلط الـدمـع بـالـثرى المنهـال
وفتـاةٍ لاذتْ بحقـويْ أبيـهـا جـزعاً ، وهـو ضـارع بـابتهـال
وحـريضٍ رأى ابنـه يسلم الـروح ، قـريبـاً منه بعيـدَ المنـالِ[3]

---

(۱) « عيبال » جبل يكتنف نابلس من الجهة الشمالية .
(۲) « جرزيم » : جبل يكتنف نابلس من الجهة الجنوبية .
(۳) الحريض : الساقط الذي لا يستطيع النهوض .

ومريضٍ وعُوَّدٍ ، صرخ الموت ، وكانوا يدعون بالابلال
خُسف البيتُ بالمريض ، ومَنْ عاد ، وبالمُحْصَنات والأطفال
قد رأينا في لحظةٍ وسمعنا كيف تلهو المنون بالآجال
ههنا نسوة جياع بلا مأوى ، سترن الجسوم بالأسمال
ههنا أسرة تهاجر والغمُّ بديل الأثاث فوق الرحال
ههنا مبتلىً بفقد ذويه ههنا معدم كثير العيال
ملأ الحزنُ كلَّ قلبٍ وأودتْ ريح يأسٍ بنضرة الآمال

دخلاءَ البلاد ، انَّ فلسطين لأرضٌ كنوزها من نكال
تِبْرُها صفرةُ الرَّدى فخذوه عن بنيها ، وآذنوا بارتحال
ربِّ لطفاً ! فقد أتانا نذيرٌ بوباءٍ من بعد هذا الوبال
وجرادٌ ، وكل آتٍ قريبٌ أوَ بعد الامحال من امحال
ربِّ ان الكروب تترى علينا حسبنا كرب هجرة واحتلال

١٦ تموز ١٩٢٧

سر الخلود

في رثاء سعد زغلول

لي بالحياة تعلق وتشدد   والعمر ما بعد المدى فسينفد
نَفَسٌ أُردده وأعلم أنه   للموت بين جوانحي يتردد
ويلمُّ بي ألم أُخاتله بما   يصفِ الطبيبُ فيستكين ويخمد
ويسرني أني نجوتُ من الأذى   ويلي كأني إن نجوت مخلد
وكأنني ضلّلتُ سيرَ منيتي   إن الطريق إلى الفناء معبّد
هيهات لست بخادع عينَ الردى   عين الردى يقظى وعينك ترقد
أنا أنت بعد الموت لا مستعبد   حرّاً فأحقره ولا مستعبَد
ورأيت خزاف الحياة يذلها   فيدوسها ، ويعزّها فينضد
هل كان سعد كما علمت من الورى   فيموت ؟ كلا إن سعدَ لأوحد
هبت عواصف نعيه مصريةً   فإذا بها شرقية تتمرد
وطفقت أسأل يومه فاذا به   يومٌ لعمر الموت أبكم أسود
وارتبت في الأقدار ليلة نعيه   ولحدت ريبي يوم قيل سيُلحد
فُجعت بنو مصر بفقد زعيمها   الله أكبر أي أروع تفقد
يا سعد يا ابن النيل رنَّقَ ماءه   ثكلُ البنين وهل كسعد يولد
مصر التي فقدتك قلب خافق   والشرق أضلعه التي تتوقد
وكأنها كبد يصرّعها الأسى   وكأنه لمّا تعلقها يد
عبدتك مصر وأنت باعث مجدها   إن البطولة منذ كانت تعبد

رب البطولة عبدها قذفت به   شمل الخطوب يبيدها ويبدد
يلقى الخطوب وقد طغى تيارها   فاذا به صخر هنالك جلمد
واذا بها لجج تدافع موجها   فيصدها فتحورُ عنه ويصمد
وإذا به فوق الأكفِّ مكلل   بالغار يكبره الورى ويمجد
واذا به تحت الصفيح بمعبد   والكعبة الغراء حيث المعبد
واذا به عينُ الخلود وسره   تعنو له حر الوجوه وتسجد
يا سعد شأنك والبطولةَ انها   تجثو لديك وأنت أنت السيد
الله في سبع وستين انطوت   والموت مضاء العزيمة يطرد
نصب الحبائل جمة فتقطعت   وعهدته يرمي السهام فيقصد
ما كان في المنفى بأخفق منه في   مصر يريشُ سهامه ويسدد
ورأى بطولتك التي صمدت له   وكأنها درع عليك مسرَّد
فرمى حبائله وحطم قوسه   وأتى سريرك خائفاً يترصد
فسقاك خمرةَ كأسه فعرفتها   وجرعتها « وأنا انتهيت » تردد
نعم انتهيتَ وإنما تلك القوى   نور يفيض وجذوة لا تهمد
فهدت سبيل الشرق في ظلماته   فجرى يغوّر في الحياة وينجد
وهوت بكلكلها على أعدائها   وتفرعنت مصرٌ لمن يتنمرد
الفرقد الهادي يحجّبه الثرى   فمتى يؤوب وأين يطلع فرقد
يا حسرتاه على البلاد يقيمها   غدر المنية بالرئيس ويقعد
زفراتها زفراتُ مصر تصدعت   من هولهن قلوبنا والأكبد
(عيبال) منذ تزلزلت أركانه   ما انفك يسعده نداك ويسعد[1]
عزَّيته بمصابه ووصلته   حسبي عزاؤك نعمةً لا تجحد

---

(١) يشير إلى إعانة سعد لمنكوبي الزلزال بنابلس .

جـود ختمت بـه الحيـاة وإنـه | لختام ألف صنيعـة لـك تحمـد
ولقـد نعيت لـه فبـات وحـزنـه | عـين تسيـل بـه وعـين تجمـد
هـذا ثـرى مصرَ التي أحببتهـا | نم هادئاً يـا سعدُ طـاب المرقـد
تفـديك أفئـدة تـود لـو انها | أمست هي الرمس الذي تتوسد
وتـود لـو أن الأزاهـير الـتي | قـد كللوك بهـا عيـون تسهـد
الـروح والـريحـان خـير تحيـة | والسلسبيل ـ ولست تظمأ ـ مورد
لم يخل منك الذكر في وطن ومـا | بَـرِحَتْ لذكـرك لـوعـة تتجـدد

نابلس ، في ٢٧ سبتمبر ١٩٢٧

مَعِين الجمال

أسعديني بزورةٍ أو عِديني طال عهدي بلوعتي وحنيني
أدَّعي الهجرَ كاذباً وغرامي في قرارٍ من الفؤاد مَكينِ
غِيضَ دمعي وكان رِيّاً لروحي من غليل الأسى فمنْ يرويني
يا مَعينَ الجمال أذبلتِ قلبي أنعشيني بنهلةٍ أنعشيني
يا مَعينَ الجمال ، قطرةَ ماءٍ أو أفيضي ابتسامةً تُحييني

* * *

ضجعتي في الرياض بين الرياحين قريباً من ماءِ عَينٍ مَعينِ
فتناولتُ أُقحواناً نديّاً ونداهُ كاللؤلؤِ المكنونِ
ونَزَعتُ الأوراقَ عنها تِباعاً أتحرَّى شكِّي بها ويقيني
فإذا وافقتْ مُنايَ تفاءَلتُ وإلَّا كذَّبتُ فيها ظنوني
ذاك لهوٌ فيه العزاءُ لنفسي فاضحكي من تعلُّلي وجنوني
طُفْتُ بين الأزهار ، والنّشْرُ من نَشْركِ فيها ودِقّةُ التكوينِ
قطرات الندى عليها دموعي أنتِ أدْرى مَنّي بما يُبكيني
أنْتقي طاقةً وذوقُكِ يَهديني الى الرائعاتِ في التّلوينِ
يا حياةَ القلوبِ ويْلي عليها ذَبُلَتْ من بقائها في يميني
فخذيها عسى تُرَدُّ اليها الروحُ إني أخاف مرأى المنون

* * *

ما أشَدَّ الهوى، وما أطولَ الليلَ   وما أبعدَ الكرى عن جفوني
رُبَّ ذكرى ـ وما هجعتُ ـ استحالتْ   لخيالٍ سَرَى فأذْكى شجوني
ضمّني ، ثمَّ ردَّني وتلاشى   في الدَّياجي كما تلاشى أنيني
راعني أمرُه فنبّهتُ مَنْ حَوْليَ   ذُعْراً بصرخةٍ في السُّكونِ
سألوني فلم أُجِبْ ، بل تناوَمْتُ ،   فناموا وللأسى خلّفوني

* * *

مرحباً بالحياةِ عادَ صداها   وانجلى الليلُ عن صباحٍ مُبينِ
سُفَراءُ الصباحِ نورٌ وطيرٌ   تتغنّى في مائساتِ الغصونِ
ونسيمٌ يُداعبُ الدَّوْحَ ، والبحر   شجيُّ الغناءِ عَذْبُ المجونِ
وجلالُ الوِدْيان مِلْءُ الحنايا   وجمالُ الجبالِ مِلْءُ العيونِ
في اخضرارٍ كأنه أمَلي فيك ،   وثلجٍ نقاؤهُ كالجبينِ

* * *

إنما هذه الطبيعةُ أُنسي   ومُعيني إنْ لم أجِدْ من مُعينِ
أتَقَرَّى جمالَ ذاتكِ في ما   أبْدَعَتْهُ يمينُها من فنونِ
في الغدير الصَّافي ، وأُنشودة الطير ، وطيب الورود والياسَمينِ
غيرَ أني ما ازدَدْتُ إلاَّ حنيناً   أسعديني بزوْرةٍ أو عِديني

نظمت في ١٩٢٧ (ونشرت سنة ١٩٢٨)

حملتني نحو الحمى أشجاني

نَــبّــهــتْــني صــوادحُ الأطــيــارِ
تَــتَــغــنّى عــلى ذُرى الأشــجــارِ
وتَجَــلّتْ مــلــيــكــةُ الأنــوارِ

فوق عرشِ الصَّباح ترشُفُ طَلّاً من ثُغــورِ الأقــاحِ غَــلّاً ونهْلا
فتمــنّيْتُ لــو شقــيقــةُ روحــي بــاكــرَتْــني إلى جَــنَى الأزهــار

* * *

أنــا في روضــةٍ أبــاحَتْ جَناهــا
كــلُّ ذي صَبْــوةٍ كئيبٍ أتــاهــا
هــا هُنــا وردةٌ يفــوحُ شَــذاهــا

هــا هنا نــرجسٌ يُحَيّي الأقــاحــا والــدَّوالي تُعــانــقُ التُّــفّــاحــا
بــادِري نَسْتَبِقْ معــاً وارِفَ الــظّلِّ ونَقْضِ النّهــارَ بعــدَ النّهــارِ

* * *

ضَحِكَ الرَّوْضُ حينَ فاضتْ عُيونُهْ
وترامى فوقَ الثّرى ياسَمينُهُ
هامَ صَفْصافُهُ فناحَتْ غُصونُهُ

فسَواءٌ هُيامُهُ وهُيَامي غيرَ أنّي أبكي على أيّامي
فَجَعَتْني بِكِ النّوى حين شبّتْ لَوْعَةٌ في الضّلوعِ ذاتُ أُوارِ

* * *

مَرَّ عامٌ أُخْفي عن النّاسِ ما بي
مِنْ حَنينٍ مُبَرِّحٍ وعذابِ
ولقدْ يَسْألونَ فيمَ اكتئابي

وَيْحهمْ كَيْفَ يُبصرون دموعي ثمَّ لا يُدركونَ ما بضلوعي
ولقد يكتمُ المحبُّ هواهُ فتبوحُ الدُّموعُ بالأسْرارِ

* * *

ذاكرٌ أنتَ عهدَنا يا غديرُ
يومَ كنّا والعيشُ غَضٌّ نضيرُ
وعلى ضفّتيْكَ كنّا نسيرُ

فروَيْتَ الحديثَ عنّا شُجونا وأخذنا عليكَ ألاّ تَخونا

فـأعِـدْ لي ذاك الحـديثَ فـإني   أذْهلتْني النّـوى عن التّـذكـار

* * *

ذاكِـرٌ أنـتَ والأزاهـيرُ تَـنْـدَى
كم نَـظَمْنـا مِنْهنَّ للجيـدِ عِقْـدا
فــإذا هـبّت الـصَّبـا فـاح نَـدًّا

وانقضى اللّهْـوُ مُؤذنـاً بـالفـراقِ   فَذَوى العِقْدُ مِن طويلِ العنـاقِ
لمْ يـزلْ خيْـطُهُ يلوحُ وجسمي   يَتَـوارى سُقْـماً عـن الأبْصـارِ

* * *

يـا ابْنةَ الأيْـكِ غَرِّدي أوْ فَنـوحي
فعسى يَـلأمُ الهَـديـلُ جـروحي
نَفَـدَ الصَّـبرُ عنْ شقيقـةِ رُوحي

فـاحملي هــذه الـرِّسـالـةَ عنّي   واسْجعي إن أتيتِها فوْق غُصنِ
فهْيَ عنـد الأصيـل تصغي إلى الـطيْر عسـاهـا تـروح بـالأخبـارِ

* * *

حَمَلَتْني نـحـو الحمـى أشجـاني

فتهيّبتُ من جلال المكانِ
وإذا فوق مقلتيَّ يدانِ

فتلمّستُ نضْرةً ونعيما وتعرَّفْتُ ما لَثَمْتُ قديما
قلتُ يا مرحباً ، وقبّلْتُ كفّاً أنزلتني ضيفاً بأكْرمِ دارِ

* * *

خَطَراتُ النّسيمِ في واديكِ
صَبّحتْني بقبلةٍ مِنْ فِيكِ
ثمَّ عادتْ بقبلةٍ تشفيكِ

فسلاماً يا « واديَ الرُّمّانِ »[1] فُزْتُ بالرَّوح منك والرَّيْحانِ
واحنيني إلى ديارِكَ والرُّمّانُ دانٍ يُظِلُّ أهلَ الدّيارِ

نشرت في ٢١ أيار ١٩٢٨

---

(١) وادي الرمان في « كفركنة » موطن . م . ص .

منديل حسناء

ما رونقُ الفجر والظلماءُ عاكفـةٌ إذا تنفّس نــوراً في حنـايـاهــا
فهبَّت الطير تدعو الطير مـرسلةٍ من الأغاريد أحـلاها وأشجـاها
ولا الورود كأمثـال الخدود وقـد تفتَّحت في الرياض الفيح تغشاها
كـلا ولا قطراتُ الـطَلِّ كـامنـة في الأقحوان وأمُّ الشهد ترعاهـا
يوماً بأجمل ِ من ميٍّ إذا ابتسمت تحت النقاب ولاحت لي ثنايـاها
غــداً تفـارقني ميّ وفي كبــدي شــوق أُكـابــده آهــاً وأواهــا

مساء ١٢ حزيران ١٩٢٨

حريق الشام

« إلى نديم »

لهفي على الشام وسكّانها ... لهفةَ ظامي الروح حرّانها
ما أحرقتها النار لكنما ... ضلوع مفتون بغزلانها
والحبّ إما أضرمت ناره ... تسمعه الدنيا بآذانها
نديم أخْبِرنْي فقد راعني ... تشبث النار بغيطانها
هل سرتِ النار الى (تينها) ... وتُوتِها الغضّ ورُمانها

٢٥ حزيران ١٩٢٨

تفاؤل وأمل (*)

كَفكِفْ دموعَكَ ، ليس ينفعُكَ البكاءُ ولا العويلُ
وانهضْ ولا تشكُ الزمانَ ، فما شكا إلَّا الكسولُ
واسلكْ بهمّتِكَ السّبيلَ ، ولا تقلْ كيف السبيلُ
ما ضلَّ ذو أملٍ سعى يوماً وحكمتُه الدَّليلُ
كلّا ، ولا خابَ امرؤ يوماً ومقْصدُه نبيلُ

أفنَيْتَ يا مسكينُ عمرَك بالتّأوُّهِ والحزَنْ
وقعدتَ مكتوفَ اليدْين تقولُ : حاربني الزَّمنْ
ما لْم تقمْ بالعبءِ أنتَ ، فمَنْ يقوم به إذن ؟

* * *

كم قلتَ : « أمراضُ البلاد » ؛ وأنتَ من أمراضها
والشؤْمُ عِلّتُها : فهلْ فتّشتَ عن أعْراضِها
يا مَنْ حَمَلْتَ الفأسَ تهدِمها على أنقاضِها
أقعدْ فما أنتَ الذي يَسْعى إلى إنهاضِها

(*) ألقيت في الحفلة التي أقامتها كلية النجاح الوطنية في نابلس في نهاية العام الدراسي (أيار ١٩٢٨) وكانت الروح الوطنية قد دخل عليها الكثير من الوهن والتشاؤم ، كما راج في أثناء ذلك سوق الدجالين من محترفي الوطنية الزائفة .

وانــظرْ بعينيْــك الــذئــابَ تَـعُبُّ في أحـــواضـهـــا

وطـنٌ يُـبـاعُ ويُـشـــترى وتصيحُ : «فليحيَ الوطن» ؟!
لــو كنتَ تـبغي خَيْــرَهُ لبـذلتَ من دمِـك الثمن
ولقمتَ تَضْمِـدُ جـرحَــهُ لو كنتَ من أهلِ الفطن

* * *

أضحى التشـاؤمُ في حـديثـك بـالغــريـزَةِ والسّليقَــهْ
مِثْـل الغرابِ ، نَعى الـدّيـارَ وأسْمَـعَ الـدّنيـا نعيقَـهْ
تِلكَ الحقيقــةُ ، والمـريضُ القلبِ تجــرحُـهُ الحقيقــهْ
أمَــلٌ يــلوحُ بــريــقُــه فَـاستَهْدِ يـا هـذا بَـريقَـهْ
ما ضاقَ عَيْشُـك لو سعيتَ لـه ، ولوْ لمْ تشْـكُ ضِيقَهْ

لكِنْ تَــوَهّمْتَ السّقــامَ ، فــأسقـمَ الــوهْمُ البــدنْ
وظنَنْتَ أنــكَ قَـدْ وَهَنْتَ فَـدَبَّ في العـظم الــوهنْ
والمــرءُ يُـرْهِبُــهُ الـرَّدى مــا دام يـنــظرُ للكـفـنْ

* * *

الله ثـم الله مــا أحْـلى التّـضــامُـنَ والــوفــاقــا !
بــوركْتَ مُؤتمَــراً تــألّـفَ لا نــزاعَ ولا شقــاقــا[1]

(١) عقد في تلك السنة مؤتمر « عربي عام » في القدس الشريف .

كَمْ مِنْ فـؤادٍ راقَ فيـه ، ولم يـكنْ مِـنْ قبـلُ راقـا
اليـومَ يشـربُ مـوطني   كـأسَ الهناءِ لكمْ دهـاقـا
لا تـعبـأوا بمـشـاغبـين   تـرَوْنَ أوْجهَهم صِفـاقـا

لا بُـدَّ مـن فِئـة ـ أُجِـلُّكُـمُ ـ تَـلَذُّ لهـا الـفِتَـنْ
تلك النفـوسُ مِنَ الـطُّفـولـةِ أُرْضِعَتْ ذاكَ الـلبن
نَشـأتْ على حُبِّ الخِصـامِ ، وبات يَـرْعاهـا الضَّغَنْ

* * *

لا تَحْـفِلوا بـالمـرْجـفـينَ ، فـإنَّ مَـطْلَبَهـمْ حقـيرُ
حُبُّ الـظهـورِ عـلى ظهـور النـاسِ مَنْشَـأه الغـرورُ
مـا لمْ يكنْ فَضْـلٌ يَـزينُـك فـالـظَّهـورُ هـو الفجـورُ
سـيروا بـعـيْنِ الله ، أنتـمْ ذلـكَ الأمـلُ الكبـيرُ
سيروا فقدْ صَفَتِ الصُّـدورُ ؛ تباركَتْ تلكَ الصُّـدورُ
سـيروا فَـسُنَّـتـكُـمْ لخـيْرِ بـلادكُـمْ خَـيْرُ الـسُّنَـن
شـدُّوا المـودَّةَ والـتـآلـفَ والـتّـفـاؤُلَ في قَـرَنْ
لا خـوْفَ إنْ قـامَ البِنـاءُ عـلى الـفضـيلةِ وارتـكنْ

* * *

حيِّ الشبـابَ وقُـلْ سـلامـاً إنّكمْ أمَـلُ الغَـدِ
صَحّتْ عـزائمكُمْ عـلى   دفْـعِ الأثيمِ المعتـدي

والله مَـدَّ لـكـمْ يـداً تـعْلو عـلى أقـوى يـدِ
وطني أزُفُّ لـك الشّبـابَ كـأنّـهُ الـزَّهـرُ النّـدي
لا بُـدَّ مـن ثـمـرٍ لـهُ يـوْمـاً وانْ لمْ يَـعْـقِـدِ

رَيْحـانُـه العلمُ الـصَّحـيـح وروحُـه الخلقُ الحسنْ
وطـني ، وانَّ القـلبَ يـا وطـني بـحبِّـكَ مُـرتَهَـنْ
لا يـطمئِنُّ ؛ فـإنْ ظفِـرْتَ بمـا يُـريـدُ لـكَ اطمـأنْ

نشرت في ١٢ تموز ١٩٢٨

كيف عيناك يا عمر

إلى صديقه عمر فروخ وكان يشكو ألماً في عينيه

كيف عيناك يا عمر أنا أدماهما السهرْ
وعصيّ من الدموع طغى الهمُّ فانهمر
وخيالٌ ألمَّ بي من حبيبٍ لدى السحر
طاف حيناً بمضجعي وتوارى عن النظر
أتبعته جوانحي مهجتي عندما نَفر

* * *

أين ليلى على شواطىء بيروت يا عمر
كان من فرعها الظلام ومن وجهها القمر
وسميري مقبّلٌ طيّب اللثم والسمر
ومدامي وقد ظفرت بها نشوةُ الظفر

* * *

أين لهوي وشرّتي والزمانُ الذي غبر
حين لم أفتكر بهجر ولا الهاجر افتكر

أيـــن لا أيـــن والحـــيـــاة هـــي الـــلمـــح بـــالـــبصر
هـــكـــذا يـــذهـــب السرور سريـــعـــاً إذا حضر

نابلس ، في ٣١ آب ١٩٢٨

(وفي بعض الأصول : ايلول ١٩٢٨)

حطِّين

نظمها يوم عزم امير الشعراء المرحوم احمد شوقي بك على زيارة فلسطين وأخذ الأدباء يعدون العدة لإقامة مهرجان له . ولكن الزيارة لم تتم . وقد رمى ابراهيم من وراء هذه القصيدة الى إثارة أمير الشعراء لينظم شعراً في فلسطين وفي قضيتها .

أهْـلاً بـربِّ المـهـرجـانِ أهْـلاً بـنـابـغـةِ الـبـيـانِ
مـلكِ الـقـلوبِ المسـتـقـلٍّ بـعـرشِـهـا ، والـصـوْلجـان
ومـتـوَّجٍ حـالـتْ أشـعَّـةُ تـاجِـهِ دونَ الـعِـيـان
أهـلاً (بـشـوقي) شـاعـرِ الـفُـصْـحى ومـعْـجـزةِ الـبـيـان
يـا فَـرقَـدَ الـشـعـراءِ كـمْ مـن فـرقـدٍ لـعُـلاكَ ران
عَـلَمـا الخـلـود مُـنَـشّـرانِ عـلـى سريـركَ يَخْـفُـقـان
جـبريـلُ ينفـخُ فـي فـؤادكَ مـا يـفـيضُ عـلـى اللّسـان
وأمـدَّ بـالنفـحـات روحَـكَ حـيـن طـوَّف بـالجـنـان
فـإذا بـأبـكـارِ الجـنـانِ لـديْـكَ أبْـكـارُ المـعـانـي
يـا بـاكيَ الفيحـاءِ حيَن أبَتْ تُـقـيـمُ عـلـى الهـوان
أيـامَ كـانـتْ وردةً بـدمِ البـواسِـلِ كـالدّهـان
أرْسَلْتَ عنْ (بَـرَدى) سـلامَـك في لـظى الحـرب العـوانِ[١]

(١) إشارة الى قصيدة شوقي التي مطلعها :
سـلام مـن صـبـا بـردى أرق ودمـع لا يـكـفـكـف يـا دمـشـق

وذرفتَ « دمعاً لا يُكفكفُ » هيّجتْه الغُوْطتان
البيتُ ممّا قُلْتَهُ فيهِ تخايلُ جنّتان
أبداً رثاؤكَ فيهما عينان دمعاً تجريان
هذا وإنَّ جناهما لَلْصَّعْبُ فاعجب وهو دان

* * *

عَرِّجْ على حطّينَ واخشعْ يُشْجِ قلبَكَ ما شجاني
وانظرْ هُنالِكَ هل ترى آثار (يوسف) في المكانِ
أيْقِظْ (صلاحَ الدِّين) رَبَّ التّاجِ والسّيفِ اليماني
ومثيرَها شَعْواءَ أيُّوبيّةَ الخيْلِ الهِجان
بالعاديات لديْه ضبحاً والأسنّةُ في اللّبان
ترْمي بمارجِها وما غَبَرُ العجاجة من دخان
في كلِّ خطّارٍ على الأخطار صَبّارِ الجَنان
حَلَقاتُ أدرعِهمْ قيودُ الموْتِ في دَرَك الطعان
وسيوفُهم ماءُ الحميمِ على مضاربهنَّ آنِ
والخيلُ طَوْعُ كماتِها في النّقْعِ مُرْخاة العِنانِ
لا تنثني أوْ تحرزَ القَصَباتِ في يومِ الرّهان
حِطّينُ يومُك ليس يُنكرُ شاهديه الخافقان
تتطايرُ الأرواحُ فيه من السِّنان إلى السِّنان
وترى السِّهامَ مُقَوَّماتٍ فوْقَ أجسامٍ حَوانِ
فإذا أديمُ الأرض أحمرُ من دمِ الافرنج قانِ
يسْقَوْنَ من كأس الرَّدى ومليكُهم ظمآنُ عانِ

حتّى انجلى رَهَجُ الوغى والنّصْرُ مَرموقُ العنان
ومشى صلاحُ الدّين تحت لوائِهِ في مِهْرجان
وعلا الأذانُ ورَجّعَتْ تكبيرَةُ شُرَفُ الأذان

* * *

أمقوِّضَ الدّولاتِ مَنْ لي مِنْ صُروفِك بالأمان
دُكّت صُروحٌ ما بنى أمْثالَها في المجدِ بانِ
جَلَّ المصابُ « أبا عليٍّ » فابْكِ هاتيكَ المغاني
ذهبَ الذين عهدتَهم لا يصبرون على الهوان
في مصرَ يطمعُ أشْعَبٌ وهنا تنادى أشْعبانِ(1)
وهنا التخاذلُ في الشّدائدِ والتّشاؤُمُ والتّواني
والنّفسُ يقتُلُ عزمَها طولُ التّعلُّلِ بالأماني

* * *

خذها اليك وأنت عنها يا أميرَ الشعرِ غانِ
حسناءَ فيها للصِّبا نزقٌ على خَفَرِ الحسانِ
نَفَحاتُها مِنْ « كرْمةٍ » تُعزى الى الحسن بنِ هاني
هَيْهاتَ تبلغُ شأوَكَ الشعراءُ يوماً أوْ تداني

نشرت في تشرين الأول ١٩٢٨

---

(١) إشارة الى الاستعمار والصهيونية في فلسطين .

حـــيرة(١)

وقد رآها مستلقية نائمة

ما كنتُ أرغبُ ان أُسمّى قاسياً   فـأُنَفِّرَ الأحـلام مـن عينيْهـا
والشـوقُ يدفعني إلـى إيقـاظها   ويـدي تُحـاذرُ أن تُمَـدَّ اليْهـا
وكـأنما شَعَـرَ الـرقـادُ بنعمـةٍ   فـأقامَ غيرَ مفـارقٍ جفنيْهـا
ويـلٌ لقلبي كيف لم يَفْتِـك بـه   مـرأى تقلُّبِهـا على جنبيْهـا
وتنهّـدتْ مما تكنُّ ضلوعُـهـا   يـا شوقُ ويحكَ لا تَرُعْ نهديْها
حَسْبي جوىً أنّي نظرتُ لشعرها   ينكبُّ مـرتشفاً نَـدى خـدَّيْها
وأغارُ منه اذا اطمأنَّ بها الكرى   ويُثيـرُني متـوسِّـداً زَنْـدَيْهـا

* * *

أرنـو بهلفة عـاشقٍ لم يبقَ من   صبر لديَّ ، وقد حنوتُ عليْهـا
فيصـدُّني أدبي فـأُبعِـدُ هيبـةً   وأودُّ لـو أجثـو عـلى قَـدَمَيْهـا
فـالنّفسُ بَـيْنَ تهيُّبٍ ممّـا تـرى   وتلهُّبٍ ، فـاحْتـرتُ في أمـريْها
ولعـلَّ اشـواقي بَلَغْنَ بيَ المـدى   فـوقعتُ لا أصحو عـلى شفتيْها

٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨

---

(١) قيلت في م. ص .

الحبيب الذاهل

على لسان (م . . .)

قم حبيبي وأطفىء المصباحا   قد أباح الهوى لنا ما أباحا
حبّذا الاعتناق إن كانتْ الظلمةُ ستراً من دونه ووِشاحا
تَحْبِسُ العينَ عن ملذَّة مرآهُ ولكنْ تسرّحُ الأرواحا
قم حبيبي وأطفىء المصباحا

* * *

رقد الكونُ غير تلك العيونِ   في السماوات ساهرات الجفونِ
لا تخفْها ؛ فلن تبوح بسرٍّ   وسواها يُثيرُ سوءَ الظنونِ
وأراها أحنى وأوْفى من الأهل ، وكم بينَ أهلنا من خؤونِ
لا تخفْها ؛ وانظرْ لها باسماتٍ   مبدياتٍ لنا وجوهاً وضاحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

* * *

كم سهرنا من قبل ليلاً طويلاً   فشكا الصمتُ فيه منّا العويلا
وبغى البينُ أشهراً لا يبالي   ما نقاسيه صبوةً ونحولا
فالتقيْنا ، إنَّ اللقاءَ قصيرٌ   فانتهزْهُ وخلِّ عنك الذهولا
وَلْنودِّعْ تلك الهمومَ اللواتي   يتوثَّبْنَ في الدجى أشباحا
قمْ حبيبي وأطفى المصباحا

* * *

هل نسيتَ الأسفار والأخطارا يا حبيبي وكيف جئنا فرارا
غفلةُ الناس مرةً نعمةُ الحبّ ، ويا ليتها تكون مرارا
ويلك اسمعْ قلبَ الزمان فقد دقَّ ثلاثاً لا تُستردّ قِصارا
ليَرَوعنّكَ الصباحُ إذا لاح قريباً ، فلا تقلْ كيف لاحا
قمْ حبيبي وأطفىء المصباحا

* * *

نظمت في ١٧ نوفمبر ١٩٢٨

لذة العيش[1]

لـذة العيش بسفـح الكــرمـلِ   ليلة الكــرمـل عــودي كـرَمــا
ليلة الكــرمـل عــودي واسـألي   عن محب كــاد يــودي سـقــما

* * *

ليلة الكـرمـل عـودي وانـظري   أيّ قلب قــطعتــه الــزفــراتْ
أيّ نفس زهقــت بعــدُ جــوًى   أي روحٍ قــد تلاشت حَسَرات
ليس لي غــير البكــا والسـهــر   وهمـا للدهـر عنــدي حسنـات

* * *

فـيهــما ذكــرى الـلقــاء الأوّل   أرشف الأدمــع منهــا والـلمى
فصــلي الليــل بـليــل أطــول   يـا جفـوني واذرفي الـدمـع دمـا

* * *

(١) من قصائده في م. ص .

كنت أجني ثمراً حلو الجنى   رب طير... فوقه لم يقع
حوَّم الدهر عليه وانثنى   يدعي من خيبة ما يدعي
هل درى يا ويحه أن المنى   في الهوى لا تجتنى بالخدع

* * *

انما يدرك أقصى الأمل   ثابت القلب على ما عزما
من يرم أمراً بقلب حوّلِ   ينقضِ الدهر له ما أبرما

٢ كانون الثاني ١٩٢٩

وحي رسالة[1]

رسالة واهاً لها واها ... شرقت بالدمع لفحواها
من غادة عذبني نأيها ... ما ضرَّ لو كنتُ وإيّاها
أضراسها تؤلمها ليتني ... أشكو الذي سبّب شكواها
تلك ثناياها التي نضدت ... عقدين والمكسور إحداها
آثارها في شفتي لم تزل ... يا ضلَّ من يجهل معناها
رشفت منها سلسلاً بارداً ... صادف نيراني فأطفاها
في ليلة لم أدرِ ساعاتها ... أضعت طولاها وقصراها
حتى طغى الصبح بأنواره ... على نجوم الليل يغشاها
ورجَّع الطير أغاريده ... شجواً فأبكاني وأبكاها
فقلت يا طير كذا عاجلاً ... قمت على اللذات تنعاها
وقلت يا طير متى نلتقي ... يا طير هل أحيى وألقاها
ثم تعانقنا فلله ما ... تذرف عيناي وعيناها
قبلتها في فمها قبلة ... ما كان أزكاها وأحلاها
وقبلتني مثلها قبلة ... ما زلت استنشق رياها
تلك هي الزاد غداةَ النوى ... قد يهلك العاشق لولاها
حبيبتي عودي إلى ربوة ... أضحى فؤادي رهن مغناها
يا منيتي عودي نُعِدْ ليلة ... ما زال قلبي يتمناها
ذقت بها منكِ ألذ الهوى ... فكيف أنساك وأنساها

٢١ كانون الثاني ١٩٢٩

---

(١) من قصائده في م. ص.

في دير قديس[1]

لم أَلْـقَ بَـيْنَ لـيـاليَّ الـتي سَـلَفَـتْ
كـلَيْـلةٍ بِـتُّـهـا في دَيْـر قـدِّيسِ
ضَـمَـمْـتُ حـسـنـاءَ لم يُخْـلَقْ لهـا مَـثَـلٌ
بَـيْنَ الحـسـانِ ولا حـورِ الـفـراديسِ
مـا عـرشُ بـلـقـيس في إبّـان دولـتـهـا
ولا سـلـيـمـان مـزفـوفاً لـبـلـقـيـسِ
يَـوْمـاً بـأعـظم مـنّـا في السّريـر وقـد
دام الـعـنـاقُ إلى قـرع الـنّـواقـيسِ

٢٤ كانون الثاني ١٩٢٩

(١) قالها في م. ص .

إلى ذات المنديل

نـزيهـة ليس للمنـديـل فيـما بيننـا حـاجـهْ
وإن سرَّك أن يـبـقـى فـأنـوارك وهَـاجـهْ
فـيـا مَـنْ تـأمـر الحسـن فـيلقـي دونها تـاجـهْ
لـقـد قـطّعـتِ بـالـدلّ عـرى قـلبـي وأوْداجـهْ

٢٥ كانون الثاني ١٩٢٩

الى م . . .

خلّفتُ قلبي فوق سفح (الكرملِ) حيرانَ يسألُ عنك أهلَ المنزلِ
خلّفته يهفو على غُرَفِ الهوى في شكل طير بينهم متنقّلِ
لم يعلموا ما سِرّه، فإذا بكى حسبوه يضحك للربيع المقبلِ

٥ شباط ١٩٢٩

الزهرتان والشاعر

يا زهرةَ الوادي أتيتُ بزهرة لك من ربى لبنان فاح شذاها
والزهر أبهى منظراً مع أمه فنقلتها معها فزاد بهاها
وحفظتها لك في الطريق من الأذى ولأجل عينكِ أضلعي مثواها
وجمعت في آذارَ بينكما فما أحلاك في قلبي وما أحلاها
إني جمعتكما ولكن لم يطلْ أُنسي بقربكما فواهاً واها
واهاً على ساعات لهوٍ كنتما يا زهرتيَّ هناءَها وصفاها
واهاً على روحي التي خلَّفتها بين الربى ؛ والروح حيث هواها
واهاً عليها مهجةً ضيعتها فاذا سألتكما فهل ألقاها ؟

٢ نيسان ١٩٢٩

وداعـــاً[1]

وداعـــاً سـأقتــل هـذا الهـوى   وأدفـنــه في ضـلـوع الـسـنـيـن
أردُّ رســائـلـك الـبـاكـيـات   فــرُدّي رسـائــل قلبي الحـزين
ولكن تعالَيْ . . . ألم تغدري ؟!

* * *

وداعـــاً ســأسـحق تـلك المـنى   وأنسفـهـا بــدداً في الفضــا
سأهــزأ بالعشــق والعـاشقيــن   وأذهـــب مستهتــراً بــالـقـضـا
ولكن تعالَيْ . . ألم تغدري ؟!

* * *

وداعـــاً وهـيهـات أن نـلـتـقـي   فــما أنــا بعــدُ المحب الحبيب
أطيعي ذويــك بمــا يشـتهــون   فإن لهمْ فوق حق الغريب . . .
ولكن تعالَيْ . . . ألم تغدري ؟!

١٥ مايس ١٩٢٩

---

(١) إحدى قصائده في م . ص .

اغفري لي . .

الى م. ص.

اغفري لي اذا اتهمتك بالغدر   فقد كنت غائباً عن صوابي
اغفري لي ، لعل ما كان مني   صرخة الهول عند مرأى عذابي
وصدى اليأس رجّعته ضلوعي   أو بكائي على أماني الشباب
لم تكوني كما زعمتُ ، ولكنْ   هالني ما قرأتُه في الكتاب
ولعمري رأيتُ منك وفاءً   لم يكن فيه ذرّة لارتيابي
اغفري لي ما قلته في جنوني   وتعالي أشرحْ اليك مصابي

* * *

رُبَّ صرحٍ ممرَّدٍ من أمانيَّ   أظَلَّ النجوم تحت جناحِهْ
قد نَمَتْ حوله الأزاهيرُ شتّى   وسقاها الهوى علالةَ راحِهْ
فنزلناه آمنين زماناً   نجتني من وروده وأقاحِهْ
لم تُحرِّكْ منه العواصف ركناً   ولكم خاب مثلها في كفاحِهْ

ثم كانتْ يَدٌ ، سأسكتُ عنها   هدَّمتهُ إلى سواء الترابِ
أين تلك السماء ؟ هل كان ذاك الصرح فيها مشيّداً من سحابِ ؟

* * *

إغفري لي فإن أشقى المحبّين محبٌّ حياته ذكرياتُ
أينما كنتُ هيّج القلب ذكرى صوّرتها آثارُنا الباقياتُ
ما هنا ؟ إنها رسومُ دموع ، وهنا ؟ آه إنها قبلاتُ
وهنا ؟ طائرٌ يُعيد حديثاً لم تغبْ عنه هذه الكلمات :

يا حياتي ، لا تغضبي ، وتعالي عانقيني وأقصري من عتابي
حسب قلبي عذابه ، فاغفري لي يا حياتي فقد لقيت عقابي

٢ حزيران ١٩٢٩

إلى بائعي البلاد

باعوا البلاد الى أعدائهم طمعاً بالمال لكنما أوطانهم باعوا...
قد يُعذرون لو انَّ الجوعَ أرغمهم والله ما عطشوا يوماً ولا جاعوا
وبُلْغَةُ العارِ عند الجوع تلفِظُها نفسٌ لها عن قبولِ العار ردّاعُ
تلك البلادُ إذا قلتَ: اسمُها «وطنٌ» لا يفهمون، ودون الفَهْم أطماع

* * *

أعداؤنا، منذ أنْ كانوا، (صيارفةٌ) ونحن، منذ هبطنا الأرض، زرّاع
لَمْ تعكسوا آيةَ الخلّاقِ، بل رجعت الى اليهود بكم قربى وأطباعُ
يا بائعَ الأرضِ لم تحفِلْ بعاقبةٍ ولا تعلّمْتَ أنَّ الخصمَ خدّاعُ
لقد جنيتَ على الأحفاد، والهفي وهم عبيدٌ، وخُدَّامُ، وأتباعُ!
وغرَّكَ الذَّهبُ اللمّاعُ تُحْرِزُهُ إنَّ السّرابَ كما تدريه لمّاعُ
فكِّرْ بموتكَ في أرضٍ نشأتَ بها واترك لقبرك أرضاً طولها باعُ(١)

نشرت في ٢٥ آب ١٩٢٩

---

(١) أخذ هذا المعنى الشيخ فؤاد الخطيب في رثائه لموسى كاظم باشا الحسيني (٤ - ٥ - ١٩٣٤) فقال:

وجدتم لكم أرضاً بها تدفنونه فهل عندكم أرض لأمواتكم غدا

وكرر ابراهيم هذا المعنى في رثائه للملك فيصل.

خطرة في الهوى(١)

أعيدي الى المضنى وإنْ بَعُدَ المدى بُلَهْنِيَةَ العيشِ الذي كان أرْغدا
تبارك هذا الوجهُ ما أوْضَحَ السَّنا ومـا أطـيبَ المـفْـتَرَّ والمتـورّدا
فقدتكِ فِقْدانَ الصِّبا وهل امرؤٌ تـولّى صِباه اليـومَ يرجعـه غـدا
فقـدتـك لكنّي فقــدتُ ثـلاثــةً سواك : فؤادي ، والأمانيَّ والهدى
وأبقيتِ لي غـيرَ القنوط ثـلاثةً : هواك ، وسقمي ، والحنينَ المؤبّدا

* * *

أيا (وادي الرمان)! لا طِبْتَ وادياً اذا هي لم تنعم بـظلِّك سرمـدا
ويا (وادي الرمان)! لا ساغ طعمُهُ اذا انـا لم أمْدُدْ لـذاك الجنى يدا
ويا (وادي الرمان)! واهاً!! وعندهم حـرامٌ على المحـزون أنْ يتنهدا
كــأنيَ لم انــزلْ ديــارَكَ مــرةً ولم ألْقَ في اهليك حباً ولا ندى
ولم تَسْقني كـأسَ المـدام حبيبــةٌ وردتُ ثناياها مع الكأسِ موردا
ولم تُوحِ لي شعراً ولا قمتُ منشداً ولم يَرْوِ شعري عندليبُكَ منشـدا

* * *

(١) في عام ١٩٢٩ تخرج ابراهيم في الجامعة الاميركية ببيروت ، وقلبه ما يزال ممتلئا بحـ...
م. ص ، وسافر الى القاهرة للاستشفاء وللقاء أخيه أحمد الذي كـان عائـ... ،
اوكسفورد ، وقد نظم هذه القصيدة بعد رجوعه من مصر .

أخي وحبيبي كنتُ أرجوك مسعداً　يسامحُك الرَّحمن لم تَكُ مسعدا[1]
ألم تـرني في مصر أطلبُ شافيـاً　وراعك إشفائي على هوَّة الًردى
ألم ترني في مضجعي متقـلِّبـاً　أُقَلِّبُ في الافـلاكِ طرفـاً مُسَهَّدا
ومن عجبٍ أنَّا شبيهان في الهوى　بِمَنْ أنت تهوى، هل أطقْتَ تجلُّدا؟

آب ١٩٢٩ (ونشرت في ١١ ايلول ١٩٢٩)

(١) عتـاب الى أخيه (أحمد) وكان ذلـك يوم قـدوم ابراهيم الى القـاهرة للمعـالجـة والاستشفاء في شهر آب ١٩٢٩ .

رد على رئوبين شاعر اليهود

نشرت الجريدة اليهودية (دوار هـايوم) قصيـدة لشاعر اليهود رئوبين ، نقلتها الى العربية جريدة فلسطين . وعنوان القصيدة « أنشودة النصر » ، أتى فيها الشاعر على الحوادث الأخيرة في فلسطين مشيداً بذكر اليهود وشجـاعتهم . . . في الطعن والضرب زاريـاً عـلى العـرب (أبنـاء هــاجـر واسماعيل . . !) خوفهم ووحشيتهم وهزيمتهم ! زاعماً تارة أنهم عزل مظلومون وان العرب عـلى تسليح الانكليز لهم كانوا لصوصاً وقـطاع طرق وأهل خيانة وغدر يعتدون على الأطفال والشيوخ والنسـاء . وقد نـظمت هذه القصيـدة رداً عـلى أنشودة النصر غير معترض كثيراً إلى الحوادث بقدر اعتراضي إلى تاريخ اليهود وتوراتهم وما عرفوا به من قبل ، وما هم عليه اليوم من الادعاء الباطل والغدر ونكران الجميل مما يناقض كل مـا ادعاه الشاعر رئـوبين ومـا وصف به قـومه من المـزايا والاخلاق .

هــاجــر امــنــا ولــود رؤوم   لا حسود ولا عجوز عقيم . . .
هـاجر امنـا ومنهـا ابــو العـر   ب ومنهـا ذاك النبي الـكـريم
نـسب لم يـضـع ولا مـزقـتـه   بـابـل أيهـا الـلقيط الـلئيـم
ودم في عــروقــنــا لم يُـرقــه   سـوط فرعـون والعـذاب الأليم

يعلم الـدهـر ايّ اهــرام مصرٍ ذلّـكم في صـخـوره مـرقـوم
فهـرم خـالـد يغشّيـه ظـل من عبـوديـة لـكم لا تـريـم
ايْ رئـوبـين غطٌّ وجهـك حتى لا يُـرى الأنف أنـه مهشـوم

*

يـا يهـوديُّ كيف علمـك بـالتـو راة ، قل لي ، أم فاتك التعليم
بـين أسفـارهـا خـلائق عنكم مـبتـداهـا ومـنتـهـاهـا ذمـيـم
يـوسف بـاعـه أبـوكم يهـوذا إنَّ حب الـدينـار فيكم قـديم
وكـفـرتم بـنـعـمـة الله حـتى ضاق ذرعاً بالكفر موسى الكليم
يشهد (التيه) أنكم شعب إسرا ئيـلَ شعبٌ منـذ الخـروج أثيم
يشهد (العجل) أن ألواح موسى يـوم زغتم أصـابها التحـطيم
وبـطون التـاريـخ فيهـا عجيب وغـريـب بعـاركـم مـوسـوم

*

أي رئـوبـين أين ألـواح مـوسى والـوصـايـا فـكـلهـن قـويـم
هن عشر نبـذتمـوهـا جـميعـاً ورتعتم في الغي وهـو وخيم[1]
ونقضتم أحكـامهـا فـاذا المـا ل مقـام الالـه فيـكم يـقـوم
والـربـا ربكم لـه صنم الحـر ص مثـالٌ أنتم عليـه جـثـوم
واذا السبت فيـه مكـر وغـدر أين فيـه التقـديس والتعـظيم

---

(١) نواقض الوصايا العشر .

وعكستم آياتها فاذا القتـ ـل مباح والفسقُ فيكم عميم
فجهلتم آباءكم فغدوتم واحترام الآباء فيكم عديم
وهضمتم حق الجوار وصحتم : « أيها الناس حقنا مهضوم » . . .
كلكم شاهد على الحق زوراً هل أتاكم من شأنه تحريم ؟!
حسبكم لا يبارك الله فيكم إن شيطان بغيكم لرَجيم
فلو انَّ النجوم أمست رجوماً ما عدتكم والله تلك الرجوم
أي رئوبين أي شعب تنادي إن ربّاً أباده لحكيم

*

أي رئوبين هل قرأت شكسبير؟ بلى ، أنت شاعر مشؤوم
وشكسبير خالد القول فيكم أمر (شيلوخ) في الورى معلوم[1]
غير أن الذين منهم شكسبير تناسوا ما قال ذاك العظيم

*

يا يهوديّ هل سمعتَ بشعب ضلَّ حتى في كل قطرٍ يهيم
شعبكم كالذباب في كل أرض منه شيء على القذور يحوم
وعجيب من العجائب أن يطلب حكماً ودهرَه محكوم
وغريب من الغرائب أن يجمع شملاً شتاته محتوم
غَضَبُ الله ما يزال عليكم وعد بلفورَ دونه مهزوم

---

(١) تاجر البندقية لشكسبير .

نــادِ ابـطالــك الـذين تــواروا	في الـشبــابيــك إنهم لقــروم
يـرقبـون الأطفـال منـا فــإن لا	حـوا رمـوهم ، فهـالـك وكليم
في يديهم سلاح قـوم . . . عليه	(أسَــدٌ) في حــديــده مختــوم
نـادِهم يقذفـوا القنابـل واصرخ	« شعب صهيون أعزل مظلوم »
والعن الانكليـز واحمـل ظبـاهم	إن نـكــران فضـلهم لجسـيم

*

لبن الارض فـاض سمـاً زعـافـاً	ودمـاً ، فـانـزلـوا بهـا وأقيمـوا
واشربوه ملء البـطون هنيئاً . .	هكــذا تشرب الـذئــاب الهيم
يــا يهـودي لا عليــك سـلامٌ	واذا شئت لا عـليــك شــلوم

١٤ أيلول ١٩٢٩

رمان كفركنّا

جـــزتُ بـالحيِّ في العشيِّ فهبّتْ　نفحــةٌ أنـعشــتْ فؤادي المُـعَنىَّ
قلت : مِنْها ، ودُرْتُ أنظرُ حوْلي　نـــظراتِ الملهـوفِ يُسرى ويمنى
وإذا طـيِّـبٌ جَــنيٌّ مـن الـــرُّمّـ　ـان مثـل النُّهـودِ لـــو هي تُجنى
وافقتْ نـظرتي نـداءَ غــلامٍ :　(ناصري يا رمان!) من (كفَرْكَنّا)
قلتُ أسـرعْ به فـدىً لَكَ مـالي　وتـرنّـــمْ بـــذكـــره وتـــغــنَّ
يا رسولَ الحبيبِ من حيثُ لم تد　رِ لـــقـــد جئْـتـــني بمـــا أتمـــنىَّ

١٨ أيلول ١٩٢٩ (ونشرت في الجامعة الاسلامية في ٥ ـ ٤ ـ ١٩٣٣)

البلد الكئيب

بمناسبة إضراب فلسطين يوم وعد بلفور

يا أيها البلد الكئيبُ حياك منهمر سكوبُ
لا تبتئس بالظلم «إن غداً لناظره قريب»
وغدٌ عصيبٌ لا يسرّ الظالمين ؛ غدٌ عصيب
أشرق بوجهك ضاحكاً ولشمس شانئك الغروب
ما بعد غمّك غير يوم تطمئن به القلوب

* * *

لهفي على البلد الكئيب تعطلت أسواقُهُ
عارٍ كما اعرورى الخريف تساقطت أوراقه
خفقت جوانحه أسىً وتقرّحت آماقه
صبراً فإن الصبر قد يحلو بفيك مذاقه
هذا عدوّك ، لا يرعك وهذه أخلاقه

* * *

بلفور كأسك من دم الشهداء لا ماء العنَبْ

لا يخدعنّك أنها راقت وكللها الحبب
فحبابها الارواح قد وثبت اليك كما وثب
فانظر لوجهك إنه في الكأس لوّحه الغضب
وانظر ، عميت ، فانه من صرخة الحق التهب

* * *

بلفور يومك في السماء ، عليك صاعقة السماءِ
ما أنت إلا الذئب قد صوّرت من طين الشقاء
والذئب وحشٌ لم يزل يضرى برائحة الدماء
إخسأ بوعدك ، إن وعدك دونه رب القضاء
وإلى جهنم أنتما حطب لها طول البقاء

*

إخسأ بوعدك لن يضير الوعد شعباً هبَّ ناهضْ
لا تنقض الوعد الذي أبرمته فله نواقض
ويل لوعد الشيخ من عزمات آساد روابض
أتضيع يا وطني وها عرق العروبة فيَّ نابض
فلأذهبن فداءَ قومي في غمار الموت خائض

* * *

بشراك يا وطني فقد نُفض الرقاد عن البلادِ
نهضت بواسل فيك تقذف بالنفوس الى الجهاد
شقوا الطريق الى العلا وخطوا على نهج السداد
ولَسَوف تنطق في سبيل الحق ألسنة الجماد
والويل يا وطني لمن أضحى يصرّ على العناد

* * *

بشراك يا وطني فقد نهضت بك الغيد الاوانس
حيّت جموعَ الغانيات عيونُ نرجسك النواعس
أقبلن من باب الخليل يمسن في سود الملابس
وصرخن في وجه العميد وحقهن لهن حارس
وطني ، ظفرت إذا النساء هتفن باسمك في المجالس

* * *

وطني ، علينا العهد جمعاً أن نسير الى الامامِ
ونعيش إخواناً على محض المودّة والوئام
ونردُّ عنك النازلات مسابقين الى الحمام
ونكون في إعلاء شأنك عاملين على الدوام
حتى تُرى متفيئاً ظلَّ الكرامة والسلام

٢ تشرين الثاني ١٩٢٩

عَنَتُ الدهر

يوم كنا نقول : « عاكسنا الد   هر » وجدنا من صحبنا مَنْ يلوم
فيقولون : « اتّق الله واقنع   كم تظلّمت طامعاً يا ظلومُ
هذه (نزهة) وأنت تراها   كل يومٍ ، فما عساك ترومُ ؟ »
ويحهم لو يرون ما صنع الـدهر لقالوا : معذب مشؤوم
كنت ارجو لو ان نزهة أضحت   في مكان قد كنت فيه أُقيم
لم يكن ما رجوتُ حتى ترحّلْـ   ـتُ ؛ فَمَنْ ظالم ومَنْ مظلومُ ؟

٢٨ نوفمبر ١٩٢٩

أين الرسالات ؟

إلى ل . . .

أين الرسالاتُ والشوقُ ؟ فالجواب تأخّرْ
كم قلتِ: «شوقي كثيرٌ» أظنُّ شوقي أكثرْ
أُسائِل البدرَ حيران عنك إن هو أسفر
ذكرتُ وجهك فيه والشيء بالشيء يُذكرْ
كوني بودّك كالبدر فهو يخفى ويظهر

٢٨ نوفمبر ١٩٢٩

خلِّ الشقيّ بحاله

إلى م . . .

إلى الحبيب الذي فاز غيرنُا بوصالِهْ
ولم نفزْ منه إلاَّ بصدِّه ودلالِهْ
ومَنْ تعلّمَ منه الصدودَ طيفُ خيالِهْ
هلاَّ تجرِّب شيئاً من الهوى واحتمالِهْ
عساك تعرف ما قد عرفتُ من أهوالِهْ
عساك تسهد ، أفديك ، ليلة من طوالِهْ
لكنْ أراك سعيداً خلِّ الشقيَّ بحالِهْ

٢٨ نوفمبر ١٩٢٩

رثاء نافع العبّوشي

لهفي على (نافع) لو كان ينفعهُ
لهفي .. وهيهات ما في الموت نفّاعُ
قد شيّعوه الى قبر يحفّ به
مِن المهابة أتباعٌ وأشياعُ
حوتْه أوطانُه في جوفها فغدا
كأنما هي قلب وهي أضلاعُ
يا موطناً في ثراه غاب سادته
لو كان يخجل من باعوك ما باعوا

نوفمبر ١٩٢٩

فرحتي .. !

فــرحــتــي يــوم أراهــا جــنّــتي نــارُ هــواهــا
جــنّــة الحــســن لــديْهــا طــيبُــهــا وْقــفُ عــليْــهــا
وردُهــا فــي وجــنــتــيْــهــا ثَــمِــلٌ مــن مــقــلتــيْــهــا
هي ريحانة قلبي
ليتها كانت بقربي
فــرحــتــي يــوم أراهــا جــنّــتــي نــارُ هــواهــا
ونعيمي في شقائي

*

كــان لي في الحــبِّ عــهــدُ رُبَّ مــاضٍ لا يُــردّ
فــالــتــقــى خــدٌّ وخــدٌّ والــتــقــى دمــعٌ وشــهــدُ
جفَّ ، يا أيّام ، دمعي
ضاق بالآلام ذرعي
فــرحــتــي يــوم أراهــا جــنّــتــي نــارُ هــواهــا
ونعيمي في شقائي

*

بـلبـلٌ فــوق الــغـصــون ســاحــرٌ جَــمُّ الــفــنــونِ
يــا أخــا الـصــوت الجنــونِ لــستَ تــدري مــا شـجــوني
تتسلّى ، تَتَفَلّى
وتـراني ، أتَقَلّى
فــرحــتــي يــوم أراهــا جــنّــتــي نــارُ هــواهــا
ونعيمي في شقائي

ســمـع الــبـلـبـلُ شـجـوي بــاكــيـاً أيّامِ لَهْــوي
فــهـفـا الــبـلـبــلُ نــحــوي هــاتــفــاً: أصــغِ لـشــدوي
قلـتُ يا بلبل دعْني
عُدْ الى الدَّوحِ وغنِّ
فــرحــتي يــوم أراهــا جــنّــتي نــارُ هــواهــا
ونعيمي في شقائي

*

نُــحْ مــعـي فــالــنـوْحُ أوْلى بَــعْــدَ مَــنْ أهــوى وأحــلى
طَــرِبَ الــقــلــبُ ومــلاّ أيُّهــا الــبـلـبــلُ هَــلاّ
بجناحيكَ انقلبتا
وبمن أهوى رجعتا
فــرحــتــي يــوم أراهــا جــنّــتــي نــارُ هــواهــا
ونعيمي في شقائي

*

الهــوى أبــلى شــبــابي جــاءَني مــن كــلِّ بــابِ
مِــن صــدودٍ لــعــتــابِ مــن عــذابٍ لــعــذابِ
كلٌّ هذا لا يُطاقُ
ثمَّ لا يحلو الفراقُ
فــرحــتــي يــوم أراهــا جــنّــتــي نــارُ هــواهــا
ونعيمي في شقائي

عــيــشُــنــا ركــضٌ بــركــضِ بــعــضُــنــا في إثْــر بــعضِ
والــصِّــبــا يــومٌ ويمــضــي لــيــتَــه يمــضــي ويُــرْضــي
يا فؤادي ما بكائي ؟
أترى يُجدي ندائي
فــرحــتــي يــوم أراهــا جــنّــتــي نــارُ هــواهــا
ونعيمي في شقائي

شباط ١٩٣٠

ذكــرى(*)

جئتَ تتلو عـليَّ صفحة مـاضٍ متنها الحبّ والأسى بين صحفي
صاحِ دعْها ؛ وخذ سواها فإني قـد تـبيّـنـتُـهـا لأول حـرفِ
صـاحِ دعْهـا ؛ فقـد دفنتُ أمـانيَّ ولهـوي يـا حسرتـاه وقصفي
وخلتْ أضلعي فـأمسى خليّـاً غزلي في هوى الحسـان ووصفي
وليـالٍ ظفـرتُ فيهـا من الـدهـر ـ عـلى بخله ـ بنعمـة عـطفِ
سـاهِـرٌ في ظـلامـهـا أقبس الـنـورَ لقـلبي بـلثم خـدٍّ وكـفٍّ
وفـمٍ كـلما شـكـا ألَمَ الـوجـد تَـعَـلّقْـتُـهُ بـقـطفٍ ورشـف
وجفـونٍ ما بـين قتـل بعنفٍ أنـا منهـا وبـين قتـلٍ بلطف
صاحِ يكفي ! فقد تـولّتْ ليالٍ شيّعْتهـا المنى بـربِّـك يكـفي

٢٠ آذار ١٩٣٠

(*) بمناسبة رسالة أتاه بها صديق من أصدقائه .

التفاتــة

تـلفت قـلبـي إلى الـكــرمــلِ وحــنَّ إلى عــهــده الأوَّلِ
ومــرَّت بـه ذكــريـات الهــوى رواجــعَ مـن ذلــك المنــزل
تلفتْ كــما شئت واخفـق لــه ســحــائبُ همــك لا تـنـجــلي

٢٤ آذار ١٩٣٠

موسم ألنبي موسى

أيها الموسم هل أنت سوى   صورة المجد الذي كان لنا
قد مشى الدهر عليه وطوى   صحفاً كنَّ سناءً وسنا

* * *

أيها الموسم هل بين الجموع   غير ترداد صدى النصر المبين
أصلاح الدين حيّ في الربوع   أم سيوف الفتح فيها ينجلين
أين قوم جهلوا معنى الخنوع ؟   ذهب الآباء ، تعساً للبنين

حلّق المجد بهم ثم هوى   وانثنى ينشدهم لما انثنى
أيها الموسم هل أنت سوى   صورة المجد الذي كان لنا

* * *

يا شواظ الحرب ترمي بشرر   يترك الآفاق في لون الدم
يا لظى حطين نشوى بالظفر   يا صلاح الدين اخلد وانعم
لك في التاريخ أيام غرر   كتبت بالسيف لا بالقلم

فـرواهـا الـدهـر فيـها قـد روى   فـاسمعـوهـا واجعلوهـا سننـا
أيهـا المـوسم هــل أنت سـوى   صـورة المجـد الـذي كـان لنـا

١٥ نيسان ١٩٣٠

يوم الثلاثاء

حسبتُ أنَّ الشبابا ولّى حميداً وغابا
وما ظننتُ فؤادي إلَّا اهتدى وأنابا
هيهاتَ لم يُرضِ قلبي من الهوى ما أصابا
يا نظرةً لم أُرِدْها ساقت إليَّ عذابا

لم أدرِ أن الزوايا يا قلب فيها خبايا ..
رددتَ ماضي عهودي عليَّ ، فاحمل هوايا

*

حسبتُ أنَّ دموعي جفّت وأقْوَتْ ربوعي
وخلتُ نارَ فؤادي خبتْ وراءَ ضلوعي
فأين وجدي وسهدي وصبوتي وولوعي ؟!
وكان يوم الثلاثا شهدتُ فيه العجابا

اليوم يوم الصبايا ففي الزوايا خبايا ..

*

لاحتْ وجوهٌ ملاحُ خلف الحجابِ صِباحُ
لكنْ بخلْنَ ولّما بخلْنَ هَبّتْ رياحُ
هذا نقابٌ، وهذا شعرٌ، وهذا وشاحُ ..
فانصبَّ نورٌ وطيبٌ على القلوب انصبابا

كم للجمال مزايا وكم له من سجايا
لولاك يا ريحُ كانت بين الزوايا خبايا ..

٢٢ نيسان ١٩٣٠

حلفت ألّا تكلميني

حلفتِ ألاَّ تكلميني   وسوء حظي قبل اليمين
إن ترحميني تعذبيني   او تظلميني لا تنصفيني

*

يا من هواها أجرى دموعي   وأشعل النار في ضلوعي
لما تيقَّنْتِ من خضوعي   حلفت ألاّ تكلميني

*

عرفت وجدي وطول سهدي   وكيف أرعى في الحب عهدي
الله حسبي ، أبَعْدَ ودي   حلفت ألاَّ تكلميني

*

حملتُ في القلب منك غما   أذاب جسمي لحماً وعظما
وكنتِ أقسى عليَّ لمّا   حلفت ألاّ تكلميني

*

هــذا فــؤادي لــديــك رهــن   ذهــلـت عــنــه فــيــما أظــن
غــداً أنــادي إذا أحــن :   « حـلفــتِ ألاّ تكـلمـيـنــي »

٢٥ نيسان ١٩٣٠

الفدائـــي

عينت الحكومة المنتدبة يهودياً بريطاني الجنسية لوظيفة النائب العام في فلسطين . فأمعن في النكاية والكيد للعرب بالقوانين التعسفية الجائرة التي كان (يطبخها) . ولما ثقلت على العرب وطأته ، كمن له أحد الشبان المتحمسين في مداخل دار الحكومة في القدس وأطلق النار عليه فجرحه .

لا تَسلْ عن سلامتهْ روحه فوق راحتِهْ
بدَّلَتهُ همومُهُ كفناً من وسادتِهْ
يَرقبُ الساعةَ التي بعدَها هولُ ساعتِهْ
شاغلٌ فكرَ مَنْ يراهُ بإطراقِ هامتِهْ
بَيْنَ جنْبيهِ خافقٌ يتلظّى بغايتِهْ
من رأى فَحْمَةَ الدُّجى أُضْرِمَت من شرارتِهْ
حَمَّلَتْهُ جهنّمٌ طَرَفاً مِن رسالتِهْ

هو بالباب واقفٌ والرَّدى منهُ خائفُ
فاهدأي يا عواصفُ خجلاً من جراءتِه

*

صامتٌ لوْ تكلّما لَفَظَ النّارَ والدِّما
قُلْ لمن عاب صمتَهُ خُلِقَ الحزمُ أبكما
وأخو الحزم لم تزلْ يدُهُ تَسْبِقُ الفما
لا تلوموه، قد رأى منْهجَ الحقِّ مُظلما
وبلاداً أحبّها ركنُها قد تهدَّما
وخصوماً ببغْيِهمْ ضجّت الأرضُ والسما
مرَّ حينٌ، فكاد يقتلُهُ اليأسُ، إنما..

هو بالباب واقفٌ والرَّدى منه خائفُ
فاهدأي يا عواصفُ خجلاً مِن جراءتِهْ

٩ حزيران ١٩٣٠

مناجاة وردة[1]

جنى عليـكِ الحسنُ يـا وردتي وطيبُ ريّاكِ فـذقتِ العـذابْ
لـولاهمـا لم تُـقـطفي غَـضَّـةً بل لانطوى في الروض عنك الشباب
لولاهما مرَّ بكِ العاشقونْ
لا ينظرونْ

وربمـا أعـرضَ عنـكِ النـدى وجـازكِ الـطيرُ فـما غـرَّدا
عُـرفتِ بالفضـلِ وكم فاضـلٍ جنى عليـه الفضـلُ يـا وردتي

روضـتُـكِ الغنّـاءُ يـا وردتي قـد أنبتت من كل زوجٍ بهيـجْ
تـنفَّسَ الـصُّبـحُ بـأزهـارهـا عن ضاحكِ اللّون زكيّ الأريجْ
نَسرينُها ، ورندُها ، والأقاحْ
كـلٌّ مُباحْ

(١) استوحاها من ذكرى حبه ـ (م . ص) ، إذ أن حبه لها جلب اليها الأنظار ـ كما يقول ـ فلم تلبث أن فاز بها أحد المعجبين ؛ وتأثر في موضوعها بما لقيه أخوه أحمد عند توظيفه مدرساً في القدس ، فقد كان ابراهيم يشعر ان تفوق أخيه هو الذي جعله ينال دون حقه ، ولولا هذا التفوق لنال معاملة أحسن ، لأن الرجل العادي لا يخشى رؤساؤه جانبه .

تَنْقلُ عنها نَسَماتُ الصَّبا تحيةً لكلِّ قلبٍ صَبا
وطوَّفَ الناسُ بأرجائها فوقَّفوا عندكِ يا وردتي
لله ما أصدقَها حِكْمةً فاهَ بها (المجهولُ في عهده)[1]
« تشتاقُ أيارَ نفوسُ الورى وإنَّما الشوقُ الى وردِهِ »
تعزيةٌ أودعَ فيها الضَّريرْ
حُكْمَ البصيرْ
ألم يكنْ في قومِهِ كوكبا لاحَ ليمحو نورُه الغيهبا
فما لهم آلَمَهُمْ فضلُهُ حتى لقد آذَوْه يا وردتي
تحكُّمُ النَّاس بمستضعَفٍ سرٌّ من الأسرار لا يُدركُ
يا وردتي وربَّ سَهْلٍ بدا طريقُهُ يُهلِك مَنْ يسلُكُ
هلْ حسبوا غصنَك لمّا دنا
سهلَ الجنى ؟
كلَّا ؛ بل النَّفسُ التي تَضْعُفُ تصطنعُ البأسَ فلا تعرفُ
والسرُّ في بطشِ الورى خوفُهمْ مِنْ هذهِ الأشواكِ يا وردتي

نشرت في ١٦ حزيران ١٩٣٠

---

(١) الاشارة الى ابي العلاء المعري .

الثلاثاء الحمراء(*)

مقدّمـــة

لَمّـا تَعَـرَّضَ نَجْمُــك المنحـوسُ   وترنّحت بِعُرى الجِبـالِ رؤوسُ
نـاح الأذانُ وأعـولَ النــاقـوسُ   فـالليل أكـدرُ ، والنَّهارُ عَبـوسُ
طَفِقَتْ تثــورُ عــواصفُ   وعواطفُ
والمــوتُ حينــاً طــائـفُ   أو خاطفُ
والمِعْـولُ الأبديُّ يُمْعِنُ في الـثرى   لِـيردَّهــم في قلبِهــا المتحـجِّـرِ

*

يــومٌ أطلَّ عـلى العصور الخـاليَهْ   ودعا: «أمرَّ على الورى أمثاليَهْ ؟ »

(*) حاول اليهود في صيف ١٩٢٩ الخروج على التقاليد الثابتة المتعلقة بصلاتهم في موقع (البراق) ، فهاج العرب لأنهم فطنوا الى ما يضمر اليهود من وراء هذه المحاولة من اعتداء على الأماكن الاسلامية المقدسة ونشبت في القدس والخليل ويافا وصفد اضطرابات دامية بين اليهود والعرب قتل فيها من اليهود عدد كبير في مدينتي الخليل وصفد . ثم القت السلطات البريطانية القبض على بعض الشبان واتهمتهم بقتل اليهود وحوكموا . وصدرت احكام الاعدام على الشهداء الثلاثة وهم فؤاد حجازي من صفد ، ومحمد جمجوم وعطا الزير من الخليل ، رحمهم الله جميعاً .

فأجابَهُ يومٌ : « أجـلْ أنا روايَـهْ لمحاكمِ التّفتيش ، تلك الباغِيَهْ
ولقـد شهـدتُ عجـائبـاً وغرائبا
لكنَّ فـيـكَ مصـائـبـاً ونوائبا
لم ألْقَ أشبـاهـاً لهـا في جـوْرِهـا فاسألْ سوايَ وكم بها مِنْ منكَرِ »

*

واذا بـيــومٍ راسـفٍ بـقـيـودِهِ فأجابَ ، والتاريخُ بعض شهُودِهِ :
« أُنظرْ الى بيضِ الرَّقيقِ وسودِهِ مَنْ شـاءَ كـانـوا مُلكَهُ بنقـودِهِ
بشرٌ يُـبـاعُ ويُـشـترى فتحرَّرا
ومشى الـزَّمـانُ القهقـرى فيما أرى . . .
فسمعتُ مَنْ منعَ الرَّقيقَ وبَيْعَـهُ نادى على الأحرارِ يا مَنْ يشترى ! »

*

واذا بيـومٍ حـالـكِ الجلْبـابِ مُتَـرنّحٍ من نَشْـوةِ الأوصْـابِ
فأجابَ : « كلاّ ، دون ما بكَ ما بي أنا في ربى (عاليه) ضاع شبابي
وشهــدتُ للسفّـاح مـا أبكى دما
ويــلٌ لـه مـا أظـلـما لكنها . . .
لم ألْقَ مِثْلَكَ طـالعـاً في روعـةٍ فاذهبْ لعلّكَ أنتَ يومُ المحشرِ »

*

(اليـومُ) تُنكرهُ اللّيـالي الغـابـرهْ وتـظلُّ تَـرْمقُـه بعـينِ حـائـرهْ

عجباً لأحكام القضاءِ الجائرهْ فأخفُّها أمثالُ ظُلمٍ سائرهْ
وطنٌ يسيرُ إلى الفناءْ بلا رجاءْ
والداءُ ليس له دواءْ إلّا الاباءْ
إنَّ الاباءَ مَناعةٌ ، إن تَشْتَمِلْ نفسُ عليه تَمُتْ ولّما تُقهرِ

*

الكلُّ يرجو أن يُبكِّرَ عَفْوُهُ[1] نَدْعو له ألا يُكَدَّرَ صفوُهُ . . !
إنْ كان هذا عطفُهُ وحُنُوهُ . . . عاشتْ جلالَتُهُ وعاشَ سُموُّهُ . . !
حَمَلَ البريدُ مُفصَّلا ما أُجملا
هلاَّ اكتفيتَ توسُّلا وتسوُّلا
والموتُ في أخذِ الكلامِ وردِّهِ فخذِ الحياةَ عن الطّريقِ الأقصرِ

*

ضاق البريدُ وما تَغيّرَ حالُ والذُّلُّ بين سطورنا أشكالُ
خُسْرانُنا الأرواح ، والأموالُ وكرامةٌ - يا حسرتا - أسمالُ
أوَ تُبصرونَ وتسألونْ ماذا يكونْ ؟!
إنَّ الخداعَ له فنونْ مِثْلُ الجنونْ
هيهاتَ ، فالنفسُ الذليلةُ لو غدَتْ مخلوقةً من أعينٍ لم تُبْصرِ !

*

---

(١) الضمير يعود الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين وقد ألحت الهيئات السياسية العربية عليه ليصدر العفو فلم يفعل .

أنّى لشاكٍ صوتُه أنْ يُسْمَعا   أنّى لباكٍ دمعُه أن ينفعا
صخرٌ أحسَّ رجاءَنا فتصدَّعا   وأبى الرجاءُ قلوبَهم فتقطّعا . .
لا تعجبوا ، فمن الصخورْ   نبعٌ يفورْ
ولهم قلوبٌ كالقبورْ   بلا شعورْ
لا تلتمسْ يوماً رجاءً عندَ مَنْ   جرَّبْتَهُ فوجدتَهُ لم يَشْعُرِ

الساعات الثلاث

الساعة الأولى

أنا ساعةُ النفسِ الأبيّهْ   الفضلُ لي بالأسبقيّهْ
أنا بِكْرُ ساعاتٍ ثلاثٍ   كلها رمزُ الحميّهْ
بِنْتُ القضيّة إنَّ لي   أثراً جليلاً في القضيّهْ
أَثَرُ السُّيوف المشْرَفيّةِ   والرماحِ الزاغبيّهْ
أودعتُ في مُهجِ الشبيبةِ   نفْحةَ الرُّوح الوفيّهْ
لا بدَّ من يوم لهم   يَسْقي العدى كأسَ المنيّهْ
قسماً بروح (فؤاد) تصعدُ   من جوانحِهِ زكيّهْ
تأتي السماءَ حفيّةً   فتحلُّ جنّتَها العليّهْ
ما نال مرتبةَ الخلود   بغيْرِ تضحيةً رضيّة
عاشتْ نفوسٌ في سبيلِ   بلادِها ذهبتْ ضحيّة

الساعة الثانية

أنـا سـاعـةُ الـرجـل العتيـدِ   أنـا سـاعـةُ البأسِ الشـديـدِ
أنـا سـاعـةُ المـوت المشـرِّفِ   كـلَّ ذي فـعـلٍ مجـيـدِ
بَـطلـي يُحَـطِّـمُ قـيـدَهُ ـ   رمـزاً لـتحـطـيـم الـقيـود[1]
زاحمـتْ مَـنْ قَـبْـلي لأسْـبِـقَـهـا   إلى شَـرَفِ الخـلودِ
وقَـدَحْـتُ في مُـهَـجِ الـشبـابِ   شرارةَ الـعـزمِ الـوطيـدِ
هـيـهـاتَ يُخْـدَعُ بـالـوعـودِ ،   وأن يُخَـدَّرَ بـالـعـهـودِ
قـسـماً بـروحِ (محـمـد) :   تَـلْقى الـردى حُـلْوَ الـورودِ
قـسـماً بـأُمـكَ عـنـد مـوتِـكَ   وهـي تهـتـفُ بـالـنّشـيـدِ
وتـرى الـعـزاءَ عَـنْ ابـنِـهـا   في صيتِـه الحسـنِ البـعـيـدِ
مـا نـال مَـنْ خـدمَ البـلادَ   أجَـلَّ مـن أجْـرِ الـشـهـيـدِ

الساعة الثالثة

أنـا سـاعـةُ الـرّجـل الصَّبـورِ   أنـا سـاعـةُ القلبِ الـكبـيرِ
رمـزُ الـثّـبـاتِ الى الـنِّهـايـة   في الخـطـيرِ مـن الأمـورِ
بَـطلي أشـدُّ عـلى لـقـاءِ المـوتِ   مـن صُـمِّ الـصُّـخـورِ
جـذلان يـرتـقـبُ الـرَّدى   فـاعـجـبْ لمـوتٍ فـي سرورِ
يَـلْقى الالـه (مُخـضَّبَ الـكـفَّـيْنْ)   في يـومِ الـنّـشـورِ

(١) نفذ حكم الاعدام بالأبطال الثلاثة في ثلاث ساعات متوالية . فكان أولهم فؤاد حجازي وثانيهم محمد جمجوم وثالثهم عطا الزير . وكان المقرر رسميا أن يكون الشهيد عطا ثانيهم ولكن جمجوما حطم قيده وزاحم رفيقه على الدور حتى فاز ببغيته !

صَبْرُ الشبابِ على المصابِ وديعتي ملءُ الصُّدورِ
أنْذرتُ أعداء البلادِ بشرٍّ يوم مُستطيرِ
قسماً بروحك يا (عطاء) وجنّةِ الملك القديرِ
وصغارِكَ الأشبالِ تبكي اللّيثَ بالدَّمعِ الغزيرِ
ما أنقذ الوطن المفدى غير صبّار جسورِ

الخاتمة

الأبطال الثلاثة

أجسادهمْ في تربة الأوطانِ أرواحُهم في جنّةِ الرَّضْوانِ
وهناكَ لا شكوى من الطغيانِ وهناك فَيْضُ العفْوِ والغفرانِ
لا ترجُ عفواً من سواهْ هو الالهْ
وَهْوَ الذي ملكت يداه كل جاه
جَبَرُوتُه فوقَ الّذين يغرّهمْ جَبَرُوتُهمْ في برِّهمْ والأبحرِ

٢٧ حزيران ١٩٣٠

ليلى كوراني[1]

بـيـن لـيـلى وسـعـاد ومـنى حـار إلياس كـما حرت أنـا
غـير أني لا أرى من عـجب أن يكـون الاسم قد حـيرنا
تـكـثر الاسـماء في شيء اذا كـثر المعنى بـه او حـسـنـا
طـفلة عـن والـديهـا نسخـة كـرمت أصـلاً وطـابت معـدنـا
قـل لـوجـه البـدر إن قـابلتهـا جـاءك الحسن انعكاسـاً من هنا
لـكـن الـبشرى بـلـيـلى إنهـا أول الأزهـار في روض الهـنـا
أطـعم الـعـزّاب ربيّ مـثـلهـا ربَّ مـا ضرك لـو أطـعـمـتـنـا
ربِّ اطعمني غـلامـاً شـاعـراً لـدواعي الحسن مثلي مـذعنـا
ولـيكـن مجنـون لـيـلى ولـيكن طيّب القلب ظـريـفـاً لَسِنـا
ولـيكـن مـثـل أبـيـه : إنـنـا لم نـوفّـر غـادة في شـعـبـنـا

بيروت ، ١٥ ـ ١١ ـ ١٩٣٠

(١) السيد الياس كوراني ـ الجامعة الاميركية ـ رزق طفلة حار في تسميتها فكانت سعادا ثم منى ثم قر قراره على ليلى . وقد دعا نخبة من معلمي الجامعة الاميركية الى حفلة انس في داره فألقيت هذه الأبيات .

هواكِ جبّار

هـــواكِ جـبّـــارْ عـلــى الـقـلـب جـارْ
أمانْ !! أمانْ !!
مِـــنْ زفـرةِ الـليـلِ وغـــمٍّ الـنّهـــار
أمـانْ !

يـا أمـلي يـا نـورَ مستقبـلي أوقـعني صـمتُـكِ في مُشكِـل
ما خبّأ الدهرُ بعينيكِ لي ؟
هـل ابتسامٌ فيهـما أم دموع ؟ تُـذيبُ قلبي كمـداً في الضلوعْ
يا ليت مكنونهما ينجلي

*

سـعــادُ لا يَهْـدأُ هــذا الفـؤادْ ولنْ يـذوقَ الجفنُ حُلْوَ الـرقـادْ
ما لمْ تصافيني الهوى يا سعادْ
لـو كان حـظّي منكِ أنْ تعلمي مـا تصنـعُ الأشـواقُ بـالمغـرمِ
لرقَّ لي قلبُكِ والدَّمعُ جادْ

*

أبصرتُ في جنْحِ الدُّجى طائفاً كلمْحةِ البرقِ سرى خاطفا
ثم دنا يصعقُني هاتفا :
« سعاد ، لم تخطرْ على بالِها ولمن تكنْ موضعَ آمالِها . . . »
ثم تولّى يسبقُ العاصفا

*

أصبحتُ لا يَشْفي غليلي ابتسامْ ولا انحناءُ الرأسِ عند السلامْ
أولى بنا لو نتشاكى الغرامْ
يا حبّذا لُقيا على موعد وحبّذا أخْذُ يدٍ في يدِ
حتًّى يقول الناسُ هامتْ وهامْ !

*

ماذا أصاب الروْضَ حتى ذَوَى والهفا ؛ والغصْنَ حتى التوى
وأيُّ بُرْدٍ للربيعِ انطوى
الروضُ يملي يا سعادُ العِبَرْ في زَهَرٍ مثلِ الأماني انْتَثرْ
يا روضةَ الحسنِ حذارَ الهوى :

*

هواكِ جبّارْ على القلب جارْ
أمانْ !! أمانْ !!

مـــن   زفــرةِ   الـــلّيــل وغــــمٍّ   الـــنّهـــار
أمـــانْ !

٢٢ كانون الأول ١٩٣٠

الحبشي الذبيح

. . . هذه الديكة الحبشية او الديكة الهندية ـ إذا شئت ـ التي يذبحونها على رنين الأجراس وأفراح المعيدين لتكون (عروس المائدة) تعمل فيها المدى تقطيعاً وتشذيباً لتمتلىء بها البطون مروية بكؤوس الخمر من بيضاء وحمراء . . .

كذلك هي الأمم المغلوبة على أمرها كانت ، وما برحت « عروس الموائد » شأن « الحبشي الذبيح » أما ريشه فتحشى به الوسائد ، وأما لحمه فتحشى به البطون[1] .

جريدة البرق ١٩٣١

بـرَقَتْ لـه مسنـونـةٌ تتـلهّبُ   أمضى من القَـدرِ المتاحِ وأغلبُ
حَزَّتْ فلا خـدُّ الحديـدِ مخضِّبٌ   بـدمٍ ولا نحرُ الـذبيـح مخضَّبُ
وجرى يصيحُ مصفِّقاً حيناً فـلا   بصرٌ يـزوغُ ولا خـطىً تتنكّبُ
حتى غَلَتْ بي ريبـةٌ فسـألتهمْ   خـانَ السِّلاحُ أم المنيّـةُ تكـذبُ

---

(١) بعد أن رأى ابراهيم منظر الديكة المذبوحة ليوم العيد خطرت له فكرة « السرور على حساب الألم » ثم فاجأته جريدة البرق بهذا التعليق فكان أن كتب « وليس من الفن الشعري في شيء أن تحصر السامع او القارىء في نقطة معينة . . . فقد يرى العاشق في الأبيات غزلاً ، والوطني حماساً ، والاجتماعي إصلاحاً . . . » .

قالوا حلاوةُ روحه رقصتْ به | فأجبتهم ما كلُّ رقصٍ يطربُ
هيهاتَ ، دونكه قضى ، فإذا به | صَعِقٌ يشرِّقُ تارةً ويغرِّبُ
وإذا به يَزْوَرُّ مختلفَ الخطى | وزكيَّةٌ مَوْتورةٌ تتصبَّبُ
يعدو فيجذِبه العياءُ فيرتمي | ويكاد يَظْفَرُ بالحياةِ فتهربُ
متدفقٌ بدمائه متقلِّبٌ | متعلِّقٌ بذَمائِه متوثبُ
انَّ الحلاوةَ في فمٍ متلمظٍ | شَرِهاً ليشرب ما الضحيّةُ تسكبُ
هي فرحةُ العيدِ التي قامت على | ألمِ الحياةِ ، وكلُّ عيدٍ طيِّبُ

بيروت ، تمَّ نظمها يوم الجمعة ٢٦ كانون الأول ١٩٣٠

صاحب غمدان
رثاء العلامة المرحوم جبر ضومط

(استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية)

(أغمدان) ما يُبكيكَ يا كعبةَ الهدى   وفيم الأسى يا هيكل الفضلِ والندى
عذرتُكَ لو أصبحتَ وحدكَ مبتلىً   أغمدان صبراً لست بالخطب أوحدا
لئن مات يا غمدان (جبرٌ) فشدَّما   أعدَّ رجالاً للحياة وجنّدا
أتبكي على (جبر) وحولك جنده ؟   عزاؤك فيمن راح حولك واغتدى
لِبانيك روحٌ ما يزال يمدُّهُمْ   وظلُّك ممدود على الدَّهرِ سرْمدا
ويا مَنْ رأى أركانَكَ الشمَّ في الربى   تَبوّأنَ من جناتِ لبنان مقعدا
حنوْتَ على أمِّ اللُّغات فصُنْتَها   وكنت لها الصّرحَ المنيعَ الممرَّدا
وكان لها (جبرٌ) أميناً وحامياً   اذا ما بغى الباغي عليها او اعتدى
وللعلم في لبنان شيدت معاهدٌ   فلم تبقَ أيدي الجهلِ منهن معهدا[١]
وأقبحُ مما قد جَنَوْهُ اعتذارهم   فقالوا : يضيعُ المالُ في رفعِها سدى
وقد زعموها تُنْفِدُ المالَ كثرةً   فهل تركوا مالاً هناك فينفدا !
مصابيحُ إنْ هم أطفأوها فإنّها   حباحبُ شؤمٍ كم أضلّتْ من اهتدى

(١) غمدان اسم قصر الفقيد في جبل لبنان .

(٢) إشارة الى اغلاق المدارس في لبنان ايام الانتداب الفرنسي سنة ١٩٢٩ .

وما لهفي إلاَّ على ساعةٍ بها صدقنا العدا، لا بارك الله في العدا
فكمْ مِنْ يدٍ بيضاءَ للعرب عندهم «ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا»
لئن خلّفوا لبنان يخبط في الدجى فغمدان يا لبنان ما انفكَّ فرقدا

*

طريقُ الرَّدى مهما يَطلْ يلقه الرَّدى قصيراً؛ وإن يَوْعُرْ يَجِدْهُ ممهّدا
وموت الفتى تحني الثمانون ظهرَه كموت الفتى في ميعةِ العمر امردا
حياتك يا إنسان شتّى ضروبها تحيط بها شتى ضروب من الرَّدى
وما قَهَرَ الموتَ القويَّ سوى امرىءٍ يخلِّفُ بين الناس ذكراً مخلّدا
يخلّف طيبَ الذكر، لا كالذي قضى وخلّف وعداً في فلسطين أنكدا[1]
فأبكى به قوْماً وأضحك أُمة أبى الله إلاّ أن تهيمَ تشرُّدا
ولكنَّ خيرَ الناسِ من كفَّ شرَّه عن النّاس أو أغنى الحياةَ وأسْعَدا
(كجبرٌ) و(عبدالله) طاب ثراهما ولا زال فوّاح الشَذى ريِّق الندى[2]
على خير ما نرجوه كان كلاهما جهاداً وإسعاداً وغيْباً ومشهدا
وهاما هياماً في هوى « مضرية » كما انقطعا دهراً لها وتجرَّدا
فكم نشرا من ذلك الحسن ما انطوى وكم آيةٍ في ذلك السحر جدَّدا
بلاغتها افتنّتْ « بجبرٍ » وآثرت فصاحتها « البستانَ » ظلاً وموردا
اذا لغةٌ عزَّت ـ ولو ضيم أهلها ـ فقد أوشك استقلالها أن يوطّدا

*

(١) الاشارة الى اللورد بلفور، صاحب الوعد المشؤوم للصهاينة باعطائهم فلسطين وطناً قومياً لهم.

(٢)، عبدالله البستاني صاحب قاموس (البستان) وقد توفي بعد الاستاذ ضومط بأيام يسيرة.

(لجبرٍ) يدٌ عندي تألّقُ كالضحى   وقلْ لها شكراً رثائيكَ منشدا
غشيتك في دارٍ ببيروت للندى   وللأدب العالي فِناءً ومنتدى
وحفَّ ذويكَ البشرُ من كل جانبٍ   وبين أسارير الوجوه تَردَّدا
وآنستَ بي من فيْض نورك لمحةً   فأعليتَ من شأني معيناً ومرشدا
لقد كنتَ بي برّاً، فيا برَّ والدٍ   توسّمَ خيراً في ابنه فتَعَهّدا
ويا حسرتا أضحي بنعماكَ نائحاً   وكنتُ بها من قبل حينٍ مغرِّدا
عجبتُ لها من همةٍ كان منتهى   حياتك فيها حافلاً مثلَ مبتدا
فيا لغتي تيهي (بجبرٍ) على اللُّغى   ويا وطني ردِّد بآثاره الصدى

القدس ، ١٩٣٠

تحية مصر

قيلت القصيدة في الحفلة التي أقامتها الجمعية المصرية (في الجامعة الاميركية) لفرقة لاعبي كرة القدم من الجامعة المصرية . وقد أقيمت هذه الحفلة في (فسيريو) وتكلم فيها كل من رئيس الجامعة ، ورئيس القسم الطبي ، والاستاذ الخولي ، وقنصل مصر وغيرهم . وفي القصيدة إشارة الى ترفع المصريين عن بقية الأقطار الشرقية على شدة تعلق هذه الاقطار بمصر . وقد وضعت الواقع في شكل عتاب لين الملمس في أنيابه العطب :

٣٣٩٤ البرق

تحية لك يا مصر الفراعين ذوي المآثر من حيٍّ ومدفون
ولم تزل دوحة الآداب وارفة على جوارك خضراءَ الأفانين
اليك يا مصر ايمائي وملتهفي ونور نهضتك الغراء يهديني
ولي أواصر قربى فيك ما برحت لما مضى ذات توثيق وتمكين
شقوا القناة عساها عنك تبعدني انى ومن لهفتي جسر سيدنيني
أُحب مصر ولكن مصر راغبة عني فتعرض من حين إلى حين
وان بكت لابكت هماً فقد علمت وأيقنت ان ذاك الهمّ يبكيني
وما عتبت على هجر تدلُّ به ان الدلال يمنيني ويغريني

لكن جزعت على ود أخاف اذا ... فقدته لم أجد خلاً يواسيني
في أصدقائي أُعزّى إن همُ هلكوا ... وفي الصداقات ما لي من يعزيني
قالوا شفاؤك في مصر[1] وقد يئسوا ... مني وأعيى سقامي من يداويني
خلفتها بلدة يعقوبُ خلفها ... شوقاً ليوسف قبلي فهو يحكيني
تقلني من بنات النار زافرةٌ ... تَكْتَنّني وهجير البيد يصليني
تمضي عل سنن الفولاذ جامحة ... وجذوة الشوق تزجيها وتزجيني
حتى سمت ليَ جنات النخيل على ... ضفاف مطرد النعماءِ ميمون
هبطت مصر وظني أنها رقدت ... في ظلٍّ اجنحة من ليلها جون
كأنها وكأن الليل منصدعاً ... بنورها سرُّ صدر غير مكنون
والأزبكيّةُ في الأمساء راقصة ... لها غلائل من شتى الرياحين
والنور ذو لحظات في خمائلها ... كأنها لحظات النُّهدِ العين
ما لي وللسقم أخشاه وأسأل عن ... طبَيبه (وعماد الدين)[2] يشفيني
لو أنشب الموت بي اظفاره لكفى ... بأم كلثوم ان تشدو فتحييني
هذا ، ومصر بساتين منمقة ... (شبابها) بعض ازهار البساتين
خاضوا ميادين من جدٍّ ومن لعب ... فأحرزوا السبق في كلٍّ الميادين

٦ شباط ١٩٣١

---

(١) في شهر تموز ١٩٢٢ كان الشاعر في مصر يستشفي .

(٢) شارع عماد الدين هو شارع الفنون الجميلة .

إلى ذات العصابة الزرقاء

روحي فـداءُ عصابـة زرقـاءِ   لَمّتْ شعـورَ مليحـة حسنـاءِ
مـا زيّـنَتْـكِ وإنمـا زيّنْتِـهـا   بجوارهـا لجبينـك الوضّـاءِ
ودنُـوهـا من مقلة مكحـولـة   فتّـانـةٍ ، فتّـاكـةٍ ، حـوراءِ
إن الجـمال إذا تجمّـع شـملـه   فـالويـل كـل الـويـل للشعـراء

١٥ شباط ١٩٣١

*

طيف الأمل

لله ما أعجبه هوىً بقلبي نزلا
هوىً على علاته أبني عليه أملا
هوىً لمن لم أرها يذهب عني مثلا
قيل سمت خلقاً على أترابها قلت بلى
قيل انتهى الحسن لها قلت : لها .. واكتملا
قيل اسمها محاسن جلَّ من اسم وعلا
لا طاب لي عيش اذا رضيت منها بدلا

٢٠ شباط ١٩٣١

بَهَــاء(1)

بَهـا ! لم تـقـع الـعـينُ عـلى أبهـى ولا ألـطَفْ
ولا أدنى الى الـقـلب ولا أشـهـى ولا أظـرفْ
شـغفـت بهـا ومَنْ يـبـلُ غـرائـبَ دلّهـا يـشـغـف
وهـامَ بِهـا أخـي [...] حـتى بـاع مـا ألّـفْ
وقـد صـنف في الحـبِّ عن العلمِ الـذي صـنـف
وقـال : الـشـمس والـبـدر ولا والله مـا أنـصـف
دعِ الشمس الـتي تُكـسف والـبـدر الـذي يخـسف
بَهَـا فـتـنـة رام الله مَـنْ شَـتًّى ومـن صـيّـف
شـفـت نـظرتهـا المـدنـف لّمـا أوشـك المـدنـف
وكـم خـالٍ مـن الاسـقـام ردّوه وقـد أشرف

* * *

بَهـا تـطلع والـشـمس فـبـادرتِ إلى المشرف
غـدت معـطفهـا ازدان بغصـن البـانـة الأهـيف

---

(1) كان ابراهيم في رام الله سنة ١٩٣١ ، وتعرف هناك الى فتاة تسمى «بهية» فقال فيها مقطعات منها هذه .

صبـاحَ الـنـور والـنـوار والـورد ومـا فـوّف
تـردّ تحـيـة الـكـفّ بغمـزة جفنهـا الأوطف

* * *

لئـن أشـغـلهـا عـني طيـورٌ حـولها تُعلف
ومـا تـطعمهـا الحَبَّ بـل الكَـرمَ الـذي يقـطف
فبـين جـوانحي طـيرٌ عـلى أيكتـهـا رفـرفْ

٢٤ تشرين الأول ١٩٣١

الغرام الأول

عهد غرامي الأولِ هيهات ما ترجع لي
أنتَ ومهجتي معاً أنت وحلو الأملِ
وليلة زاهرة سامرة بالقُبَلِ
وهجعة أحلامها صحّتْ فلم تؤوّلِ
على ذراعٍ خَضِلِ عند فؤادٍ ثملِ
أنت وما أوْدَعْتَهُ في يد ماضٍ مسبلِ
أنت وما أضعتَهُ بين شعاب الكرملِ
هيهات ما ترجع لي

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣١

اشربي

اشربي انت وحسبي   نشوةٌ من مقلتيْكِ
اشربي أنت وحسبي   نظرة في وجنتيك
اشربي أنت وحسبي   نهلةٌ من شفتيْكِ
اشربي أنت ومالي   وحياتي في يديْكِ

* * *

نقل الكأسُ حديثاً   عن ثناياكِ العذابْ
انَّه لولا شذاها   لم يكنْ لذَّ وطابْ
لم يكنْ يُسْكِرُ لولا   أنه مسَّ الرُّضابْ
اشربي أنتِ، وحدِّث   أنتَ عنها يا شرابْ

* * *

أنشديني ، أطربيني   بهوى الاندلسِ
أرسلي اللحنَ شجيّاً   كالصَّبا في الغَلَسِ
هو يا روحي لروحي   كالنّدى للنّرجسِ
إنَّ أنفاسَكِ فيه   لَحياةُ الأنفسِ

٨ شباط ١٩٣٢

أعجب الهوى(١)

تعلَّقها قلبي ولم أَدْرِ ما اسْمُها ... وفي عيْنها ما بي وما سمعتْ باسمي
وما كان إلاّ في الطريقِ لقاؤُنا ... ولحظٌ ـ كباقي الناس ـ يرْمي ولا يُصمي
أمَا عجبٌ ـ والأرضُ مَلأى بمثلها ـ ... هُيامي بها دونَ الحسانِ على رغمي؟
وما بالها لم تحمل الوجْدَ والهوى ... لغيري ، لهُ روحي ولم يعدُهُ جسمي
أراها فلم أملِكْ تَهالُكَ واهنٍ ... بجنبيَ مسلوبِ الجراءَةِ والعزمِ
فيخطفُ لوْني فرطُ ما أنا واجدٌ ... بها وبما يُلقي هواها على وهْمي
يُخَيَّلُ لي أنِّي دَنَوْتُ فأعرضتْ ... فأصرِفُ وجْهي مُثْقَلَ الصَّدْرِ بالغمِّ
ظَنَنْتُ بها سوءاً ولم تجْنِ بعد ما ... يُظَنُّ بِه ، ما أشبهَ الظَّنَّ بالأثمِ
ويُعرِبُ عن سِرِّ الضلوعِ شحوبُها ... إذا ما تلاقيْنا ، فبئْسَ إذنْ زَعْمي
وأُقسِمُ لو حدَّثتُها وتكشّفَتْ ... سرائِرُنا ما شَذَّ عنْ همِّها همِّي
هوىً أَلَّفَتْ شتَّى القلوبِ يمينُه ... وكمْ قَطَعَتْ يُسراهُ مِنْ صِلَةِ الرَّحْمِ
إذا كانَ في دنيا الهوى مِثْلَها أرى ... فأيُّ عجيبٍ في هوى العُمْيِ والصُّمِّ

نشرت في ١٠ نيسان ١٩٣٢

(١) قالها في فتاة تلبس ثياب الممرضات ، وتعمل مربية لأولاد أحد الاساتذة في الجامعة الاميركية وكانا يتلاقيان فتعلو وجهيهما الحمرة ثم يطرقان ، ثم أصبحا اذا التقيا أغرقا، في الضحك ، حتى تحاشى كل منهما طريق الآخر (من تعليقات ابراهيم)

غادة إشبيلية[1]

افــدي بــروحي غيــدَ اشبيليـهْ   وإنْ أذقْنَ القلبَ صابَ العذابْ

* * *

عَـلِقْتُ مـنهنَّ بِـتـرْبِ الـنَّهـارْ   وجْهاً ، وصِنْوِ اللَّيْلِ فرعاً وعَيْنْ
في مثلِهـا يخلعُ مثـلي العِـذارْ   ولا يبـالي كيـف أمسى ، وأيْنْ
أشـربُ مِن فيها وكـأسِ العُقـارْ   معاً ، فكيف الصَّحْوُ من سكرتينْ
لَهْفي عليهـا يـومَ شَطَّ المـزارْ   وسـاقَها البيـْنُ الى (النَّيْربَـينْ)
ودَّعتُهـا ، ومهجتـي مُشْـفِيَـهْ   لم يَشْفِني رشفُ الثَّنـايا العـذابْ
وَوَدَّعَــتْ بـالـنظـرةِ المغْـرِيَـهْ   تصحبُ لُبّي معهـا في الرِّكـابْ

* * *

يـا أعْصُرَ الأنْـدَلسِ الخـاليـاتْ   قد فازَ مَنْ عاش بتلكِ الربـوع
أهكـذا كـانت هنـاك الحيــاةْ   مُتْـرَفَـةَ الأيّـام ، مـلءَ الضلوعْ
أهكـذا الفتنـةُ في الغــانيــاتْ   ونشوةُ الوصْلِ ، وحَرُّ الولوعْ . .

---

(١) قالها في راقصة اسبانية تدعى (مرغريتا) ، وكان عنوان القصيدة في الأصل « حسرة وأمل » .

لَئِنْ مضى عهــدُ ذوينا وفــاتْ ولم يَعُـدْ من أملٍ في الـرجـوعْ
فـذمَّتـي بعـدهـمُ مـوفِيَـهْ أرُدُّ مـاضيهِمْ ببذْلِ الشّبـاب
أنـا (ابْنُ زَيْـدونَ) وتصبـو لِيَـهْ (ولّادةٌ) في دمِهـا والاهابْ . .

* * *

أوَّلُ عهـدي بفنـونِ الهـوى . . بيروتُ ؛ أنْعِمْ بالهوى الأولِ . .
وقيـلٍ هـل يَـرْشُـدُ قلبٌ غـوى والـرشدُ غَيٌّ في الصِّبـا المقبـلِ
مَدَدْتُ ـ لما قلتُ قلبي ارتـوى ـ يـدي ، فـردَّتْـهُ عن المنهـلِ
بيروتُ ، لو شئتُ دفعتُ النوى طوْعاً ، ولم أهجركِ ، فالويل لي

في ذِمَّـةِ الله مُـنىً مـودِيَـهْ بـاسقةٌ خضراءُ ، لُـدْنٌ رطـابْ
لعـلَّ في أُختـك يـا سـوريَـهْ حسنَ عزاءٍ عن جليلِ المصابْ

* * *

يَلَذُّ لي يـا عـينُ أن تسهـدي وتَشـتري الصَّفْوَ بـطيب الكرى
لي رَقْـدةٌ طـويـلةٌ في غـدِ لله مـا أعـمـقَـهـا في الـثرى
ألم تَـرَيْ طـيرَ الصِّبـا في يـدي أخشى مـع الغفـلةِ أنْ ينـفِـرا
طـال جنـاحـاه وقـد يهتـدي إلى أعـالي دوحِـه مُـبْـكِـرا

أرى الثّـلاثـين ستعـدو بيَـهْ مُغِيـرةٌ أفـراسُهـا في اقـتـرابْ

وبعـد عشرٍ يلْتـوي عـوديَـهْ ويَنضَبُ الزَّيت ويخبو الشهاب[1]

* * *

لابـدَّ لي إنْ عِشْتُ أن أعـطفـا على ربى الأنـدلسِ النّـاضـرهْ

وأجتـلي أشبـاح عهـد الصَّفـا راقصـةً ، فتّـانـةً ، سـاحـرهْ

هـنـاك لا أمـلِكُ أنْ أذرِفـا دمعي عـلى أيّـامِنـا الغـابـرهْ

عـسـاك يـا دمـعَ محـبٍّ وَفَى تَـرُدُّ جـنّـاتِ المـنى زاهـرهْ

يـومئـذٍ أُلقي عـلى عـوديَـهْ لَحْنَ الهـوى أمْـزُجُـهُ بـالعتـابْ

أفـدي بـروحي غيـدَ أشبيليـهْ وإن أذقْنَ القلبَ صابَ العذابْ

نابلس ، في ١٢ تموز ١٩٣٢ ونشرت في ١٣ آب ١٩٣٢

---

(١) كان عمره يوم نظم هذه القصيدة ٢٧ سنة ، وبعد تسع سنوات (لا عشر) أدركته منيته .

بيني وبين الناس . . .

كم قائل ، لو كنت تلقاها　　لأنكرت عيناك مرآها
ذابلة ، ناحلة ، قد محت　　يدُ الاسى القاسي محيّاها
لا تلقها ، لا ترها ، إنها　　مرّ بها الموت فأخطاها

* * *

وسائل هل بقيت فضلة　　لديك من حب وذكراها ،
قد مرَّ عامان وها ثالث　　فواحدٌ كافٍ لتنساها
وأنت كالنحلة من زهرة　　لزهرة ، تسليك إياها ؟
أخطأتما ، لم تعرفا ما الهوى　　كلاكما عن كنهه تاها :

* * *

السقْم لا يصرف وجه امرىء　　عن وجه محبوبٍ وإن شاها
كلا ولا يقصيه ، حتى ولو　　كان من الاسقام أعداها
والموت ما أبلى هوى عاشقٍ　　ومهجة المعشوق أبلاها
دونك قيساً مثلاً إنّه　　إن جئت بالامثال ، أعلاها
ما زال يغشى قبر ليلى إلى　　أن أسلم الروح فلبّاها

* * *

ألا تــرى النحـلة مهــما حــلا زهــر الـربى ، لم تنس مــأواهـا
تــطلبت عيني ســواهــا ، وقـد تـعلّــق الـقـلــب بمـغـنــاهــا
نعم تــذوّقت هــوى غــيرهــا فــلم يــطب لـلقــلب إلّاهــا
وان أجـد حسنـاً فمن حسنهــا أو نــفـحــةً ذكــرت ريّــاهــا
أو قلت في شكـواي واهاً سرت وردد الــوادي صــدى آهــا

مــظلومــة سيـقـت إلى ظــالم نــغّص مـغـداهــا ومسراهــا
كــان أبــوهــا راعيــاً ظــالمــاً لـلذئـب لا لــلحبّ ربّــاهــا

القدس ١٤ تموز ١٩٣٢

اشتروا الأرض تشتريكم من الضيم[1]

حبّــذا لــو يصــومُ منــا زعيمٌ   مثلُ (غَنْدي) عسى يُفيدُ صيامُهْ
لا يَصُم عن طعامِه . . . في فلسطين يموت الزعيمُ لولا طعامُهْ . .
لِيَصُمْ عن مبيعِـه الأرضَ يحفظْ   بقعـةً تسـتريـحُ فيهـا عـظامُـهْ
بـاركَ الله في حـريصٍ عـلى الأرضِ غيـورٍ يُنْهى اليهـا اهتمـامُـهْ
هم حمـاةُ البـلاد من كـل سـوءٍ   وهُمُ معْقِـلُ الحمى ودِعـامُــهْ
نهجـوا منهجَ القـويِّ وصفُّـوا   لجـهـادٍ مــنـصـورةٍ أعــلامُـهْ

*

إنمـا عُـدَّةُ الضَّعيفِ (احتجـاجٌ)   لم يجـاوِزْ حدَّ السـطورِ احتدامُـهْ
كـلَّ يومٍ حـزبٌ وحُلْمٌ فحدِّثْ   عن ضعيفٍ سـلاحُـهُ أحـلامُـهْ
مغــرمٌ بـالبــلادِ صَـبٌّ ولكـنْ   بسوى القول لا يفيضُ غـرامُهْ
بَـطَلٌ إنْ عـلا المنـابـرَ ، كـرّارٌ سريـعٌ عنــد الفعَـالِ انهزامُــهْ !!
آزروا القــائمـينَ بـالعمـل الصـالـح إنَّ الأبيَّ هــذا مَقـامُــهْ[2]

---

(١) تنادى نفر من الزعماء الفلسطينيين سنة ١٩٣٢ إلى إنشاء ما يسمى « صندوق الأمة » لإنقاذ الأرض من البيع لليهود ، ودعت جريدة « فلسطين » لمعاضدة هذا المشروع ، فكانت هذه القصيدة في تلك المناسبة .

(٢) الاشارة الى الذين قاموا بمشروع (صندوق الأمة) .

آزروهم بـالمـال فـالأرضُ (صندوقٌ) لمـالِكم ، بـل قـوامُـهْ
اشـتروا الأرضَ تشـتريكم من الضَّيْمِ وآتٍ مُسْـوَدَّةٌ أيـامُـهْ . . .

١٤ أيلول ١٩٣٢

طير الصِّبا

طَيرُ الصِّبا ولّى وكان لي جارْ
قلتُ له «هلّا تعود للدَّارْ؟»
فقال لي «كلّا.. كلّا» وطارْ..
أظنُّه مَلّاً منّي الجوارْ

خلّفني أبكي عهدَ الهوى
خُلعتُ من ملكي عرشي هوى
عاش على الفتك قلبٌ غوى
واليومَ في ضَنْكِ واهي القوى

قال (أبو سلمى) زينُ أترابي:
«صِباك قد همّا.. خلِّ التصابي»..
فهاج لي غمّا أقتلَ ممّا بي
قلتُ: «نعم حتماً وشاب أحبابي»..

نوفمبر ١٩٣٢ ونشرت في ١ - ٣ - ١٩٣٣

عاش كلانا بالمنى(*)

كـان هـزاراً طَـرِبـاً بـالحـسـن مـفـتـنَّـا
فـابـتـسـمَ الحـبُّ لـهُ فـأحـسـن الـظَّنـا
ثـمَّ رماه بـالـتي تـبـدِّلُ الـلحـنـا
بـاتَ يهيـمُ نـائـحـاً وطـالمـا غـنَّـى

حُـكْـمٌ بـه الحـبُّ قضى مـا أظْـلَمَ الـقـاضي
حَسْبُـك أن ترضى بـه فـإنـنـي راضٍ
دعْـكَ مـن المـاضي فلو عـدتَ الى المـاضي
وجـدتَ وصـلَ سـاعـةٍ ودهـرَ إعـراضِ

صـحَّ الـذي جـرَّبْتُـهُ عـنـد (أبي سـلمـى)
الحـبُّ يـقـتـادُ الـفـتى وقـلـبُـهُ أعـمـى
يـسـمـو بـه حـتى إذا بَـوَّأهُ الـنـجـمـا
رمـى بـه مـن حـالـقٍ يحْـطِمُـهُ حَـطْمـا

(*) موجهة الى الاستاذ الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) ، صديق ابراهيم .

عـاش كـلانـا بـالمنى نُـرسـلُهـا شـعـرا
تـلك رُفـاتٌ بَـلِيَـتْ تـبـعـثُـهـا الـذكـرى
نـصـوغُهـا ابـتـسـامـةً أو دمـعـةً تُـذْرى
نَـشْـقـى بـه حـتـى تحـيـنَ الـراحـةُ الـكـبـرى !

نشرت في كانون الأول ١٩٣٢

الدم الخفيف[1]

وطبيبٍ رأى صحيفــةَ وجـهي   شـاحبـاً لـونها وعـودي نحيفــا
قال لاً بدَّ من دمٍ ، لـك نعطيـ   ـه نقيـاً مـلءَ العــروق عنيفـا
لـك مـا شئتَ يـا طبيب ولكن   أعـطني من دمٍ يكون خفيفـا !

١٩٣٢

(١) لعله الدكتور محمد خير النويري ، وقد أشار على ابراهيم بنقل دم اليه اذ كان مصاباً بفقر الدم ، واذا كانت هذه القطعة متصلة بهذه الحادثة فتاريخها سنة ١٩٣٤ .

الشريف حسين

رحمةُ الله عليه إنه غاله اليأسُ ، وكان الأملا
ويح قومٍ خذلوه بعدما أخذوا الميثاقَ ألَّا يُخذَلا
شيمة الغدْرِ بمن ينصرهم ذهبت يا (ابن عليٍّ) مثلا

آل بيتِ المصطفى لم تبرحوا تَرِدونَ الموتَ في ظلِّ العُلى
كادت الكأسُ التي في قبرص تُشْبهُ الكأسَ التي في كربلا

١٩٣٢

الشاعر المعلم[1]

(شوقي) يقول ـ وما دَرَى بمُصيبتي ـ   « قم للمعلم وفِّـه التبجيـلا »
أُقعدْ، فديتُك، هل يكون مبجلاً   من كان للنشءِ الصغارِ خَليلا . !
ويكادُ (يفلقني) الأمير بقوله :   « كاد المعلم ان يكون رسولا » . . !
لو جرَّب التعليم (شوقي) ساعة   لقضى الحيـاة شقـاوة وخمـولا
حسبُ المعلم غـمَّـة وكـآبـة   مـرأى (الدفـاتر) بكـرة وأصيلا
مئة عـلى مئة إذا هي صّلحت   وجد العمى نحو العيـون سبيلا
ولو انَّ في «التصليح» نفعاً يرتجى   وأبيـكَ ، لم أكُ بالعيـونِ بَخيلا
لـكنْ أُصـلِّح غلطة نـحـويـة   مثلاً ، واتخذ « الكتـاب » دليلا
مستشهـداً بـالغـرّ من آيـاتـه   او « بالحديث » مفصـلاً تفصيلا
وأغوص في الشعر القديم فأنتقي   مـا ليس ملتبسـاً ولا مبـذولا
وأكاد أبعث (سِيبَوَيْهِ) من البلى   وذَويه من أهلِ القُـرون الأولى
فـأرى (حمـاراً) بعـد ذلـك كلّه   رَفَـعَ المضاف اليـه والمفعـولا !!
لا تعجبوا إنْ صحتُ يوماً صيحة   ووقعت مـا بين «البنـوك» قتيـلا
يـا من يريـد الإنتحـار وجـدتـه   إنَّ المعلم لا يعيش طـويـلا !

نابلس ٣١ ـ ٣ ـ ١٩٣٣

---

(١) مارس ابراهيم مهنة التعليم في المدرسة الرشيـدية بـالقدس ، وضـاق ذرعاً بتلك المهنة ، ثم ساءت صحته فترك التعليـم .

مداعبة قدري طوقان

لم يجـر في بـالي ولا حسـابي أن أحتفي بـالجبر والحسـاب
درسان كانـا في الصبا عـذابي ويحهـما كم شـنّجـا أعـصـابي
وخلّفا قلبيَ في اضطراب

مـا هـذه الحـروف والأعـدادُ ما هـذه السـين أخي والصـادُ
وكـيـف يـا وفـود يـا بـلاد تجـتـمـع الأشـبـاه والاضـداد
مثل الرياضيات والآداب

يـا محتفـين بـابن عمي قـدري إن أنـا قصّرت فهـذا عـذري
أكفـر إن غـازلتـه بـالشعـر فحسبكم منا جـزيـل الشكـر
يا نخبة الأصحاب والأحباب

نشرت في ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٣٣

نعمة العافية(*)

اليكَ توجّهتُ يا خالقي بشكرٍ على نعمة العافيهْ
إذا هي ولَّتْ فمن قادرٌ سواكَ على ردِّها ثانيهْ
وما للطبيب يدٌ في الشفاءِ ولكنها يدك الشافيهْ
تباركتَ، أنت معيدُ الحياةِ متى شئت في الأعظم الباليهْ
وأنت المفرِّج كربَ الضعيفِ وأنت المجيرُ من العاديهْ

آذار ١٩٣٣

(*) نظمها على إثر خروجه ، رحمه الله ، من المستشفى الألماني في القدس ، بعد أن أجريت له عملية جراحية كبرى في آذار سنة ١٩٣٣ .

ذكرى عشِيَّة زهراء[1]

هل (كَفْركَنَّة) مُرْجِعٌ لي ذكرُها　　ما فاتني من عنفوانِ شبابي؟!
أمْ في صَبايـاهـا وفي رمّـانِها　　ما يبعثُ المدفونَ من آرابي . .
لو تنفعُ الذكرى ذكرتُ عشِيّةً　　زهراءَ بَيْنَ كواعبٍ أتـرابِ
فيهنَّ آسـرةُ القلوب بحسنها　　ودلالِها وحديثِها الخلّابِ
روحٌ أخفُّ من النّسيمِ وخاطرٌ　　كالبرقِ مقرونٌ بحسنِ جوابِ . .
غـرٌّ ثنـايـاهـا وأشهـد أنَّها　　ممـزوجـةٌ رَشَفَـاتُهـا بشـرابِ
نُلقي أحـاجيَ بيننا فتثيرُنـا　　للضّحكِ خاطئةٌ وذاتُ صوابِ
ونـردِّد الألحـانَ ، بـينَ شجيّةٍ　　تُمري مدامعَنا، وبَيْنَ عِذابِ
ولقد نُعرّضُ باللّقاءِ لموعدٍ　　فيها، ونُسْلكُها طريقَ عِتابِ

---

(١) أول هذه القصيدة :

احبس يراعك يا أبا الخطاب　　قد حل بي ما لم يكن بحسابي

نظمها بعد أن نسب إليه صديقه أبو سلمى قطعة مطلعها :

يا صبايا كفركنه　　آه من أعينكنه

فشاعت القصيدة على أنها لابراهيم ، وظهرت على أثرها قصيدة أخرى بامضاء « أبي الخطاب » يتشوق فيها الى كفركنة ، فاضطر ابراهيم الى ان يقول الحقيقة وينكر نسبة القصيدة الأولى إليه ، ولكن كل ذلك نكأ الجراح القديمة الى كفركنة و(م . ص) .

قمنا وقد سقط النّدى وتزاحفتْ سُجُفُ الغمام ثقيلةَ الأهداب
تُخفي محيًّا البدر ثمَّ تُبينُه عبثَ المليحة دوننا بنقابِ . . .
وَجَفَتْ مضاجِعَها الجنوبُ وملؤها خفقان مضطَرِمِ الهوى وثّابِ
بتنا على صَفْوٍ وخوفِ تفرّقٍ للعاشقين مُهَيّءِ الأسباب

(نيسانُ) هان عليَّ حكمُك بالنْوى لما تحطّمت المنى في (آب . . .)
يا ليتَ من فَجَعَتْ فؤادي بالمنى لم تُبقِ لي ذكرى تُطيلُ عذابي

٢٦ ـ ٤ ـ ١٩٣٣

آل عبد الهادي
(بمناسبة افتتاح ناديهم في نابلس)

عهدَ الجدود سقاك صوبُ عهادِ ... ورجعت للأحفاد بالاسعادِ
ماضٍ تحصّنت البلاد بظلّه ... من كيد منتدب وصولة عادِ
المشرفية في الوغى خطباؤه ... تعلو منابر من متون جيادِ
وشبا الأسنة فيه ألْسِنَةٌ إذا ... نطقت فمنطق سؤددٍ وسدادِ
وطنية ان لم يكن عُرِف اسمُها ... لم يَخْفَ جوهرها على الأجدادِ
وتحرّجوا ان لا يمسّ حروفها ... قلمُ الجبان يخطُّها بمدادِ
حمراء أوردها الدماءَ حفاظهم ... كدراء لم تنفض غبار جهادِ
سائل بها (عزّون) كيف تخضبت ... بدم الفرنجة عند جوف الوادي[1]
دعت الرجال ولم تكد حتى مشت ... هِمم الى الهيجاءِ كالأطوادِ
ثم التقوا تحت السيوف وبينهم ... كأس الحتوف تقول هل من صادِ
كسروا من النسر الكبير جناحه ... ذي التاج والأعلام والأجنادِ
تركوه يجمع في الشعاب فلوله ... ويصب لعنته على القوادِ

(١) واقعة عزون : خرجت فرقة بقيادة الجنرال « لان » من مرج ابن عامر ، حيث كان نابليون ضارباً بجنوده ، فجعلت وجهتها عزون. وهي قرية لا تبعد كثيراً عن الساحل الفلسطيني شمالي يافا . وفي الوادي خرج عليهم شباب من أهل عزون بزعامة محمد الشبيطة فهزموهم واعملوا القتل فيهم .

هـل أهلكت (فرّوخ) إلاَّ نخـوة ... منّـا لعسف فيـه واستبـداد[1]
لمَ يا دعاة السوء يُطمسُ فضل من ... أضحى غداة الظلم اول فـادي
ثارت (بصالح) نخوة قـذفت به ... في وجـه أقبـح ظـالم متمـادِ
ومضت بـه صُعـداً الى كـرسيـه ... والمـوت في يـده وراء زنـادِ
ألقى بـه وبـظلمِـه من حـالقٍ ... متضرجيْـن بحمـرة الفـرصـادِ

هل عهد (ابراهيم) غير صحيفة ... قـد أشرقت بـالعِلْيَـة الأمجـادِ
أهـل الفعـال الغـر من أنجـاده ... وذوي الحفـاظ المر من انـدادِ
كـرمت نحيـزتهم فهم نبـلاء في ... اهـوائهم نـبـلاء في الاحقـادِ
قالوا أتمدح؟ قلت اهل فضـائل ... وفـواضـل من آل عبـد الهـادي
اصـفيـتـكـم ودّي واعـلـم أنـه ... ثقـل على اللؤمـاء من حسّـادي
لم يبتهـج قلبي كبهجتـه بكـمْ ... لمـا تجمّع شمـل هذا (النـادي)
شمخت بـطارف مجدكم أركـانه ... وتـوطـدت منكم بخـير تـلادِ

١ أيلول ١٩٣٣

---

(١) حادثة صالح وفروخ : حكم نابلس من قبل الاتراك العثمانيين حاكم اسمه فروخ باشا فطغى حتى ضاق الناس بظلمه . لذلك قام صالح طوقان بمهمة تخليص نابلس من ذاك الطاغية ، فصعد الى حيث كان يجلس فروخ في غرفة في السراي القديمة تطل على الساحة العامة . ولما صار أمامه اطلق صالح عليه عياراً نارياً مزق رأسه ثم أخذ برجله وألقى به من حالق الى الأهلين الثائرين المجتمعين في الساحة . وصالح طوقان هذا هو الذي ورد ذكره في تاريخ المرادي (سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر) بمناسبة ثورة بعلبك .

هدية رمّان

« قالها حين أرسل إليه فكتور بشارة من الناصرة
ومصباح كنعان هدية رمّان قالا إنها من كفركنا » .

قـد فهمنـا من الهـديـة معنى   غـير معنى الرمـان من كفـركنـا
فأثارت ذكـرى وهاجت جـراحاً   تـركتني من الصبـابـات مضنى
قـريـة يقـرن اسمهـا بـاسم (ابـراهيم) ممـا تفيض حبـاً وحسنـا
ملعب للصبـا وقد كـان يـوحي   كـلَّ يـومٍ مهـما أفـاض وأثنى

٥ ـ ١٠ ـ ١٩٣٣

صُورَتها المكبّرة(١)

بـرَّحَ بي الشـوقُ فلما طغى فـزِعْـتُ لـلرسْم فكبَّرتُه
ومـا شـفى داءً ، ولـكنّـما قلبي شكـا البعـدَ فَعَـلّلْتُـهُ
ولم أجـدْ في الـرَسم أخـلاقَها جـرَّبتُـها حيـناً وجـربـتَـهُ
مـنتـظري في غـرفـتي دهـرَهُ جـودُ بخيـلٍ مـا تعـوَّدْتُـهُ
ظـلَّ وقـد نـاجيتُـهُ بـاسـماً ولم يمـانِـعْ حـين قـبّـلتُـهُ
عَـرَفْـتُ لـلرَّسام إبْـداعَـهُ وعـدتُ لـلرَّسمِ فـأنكَـرتُـهُ
قـد فـاتـه دَلٌّ تـعـرَّفْـتُـهُ فيهـا ، ومَـطْلٌ كم تـذوَّقتُـهُ
لَـوْ جاءَني الـرَّسامُ بـالمشتهى كـفـرتُ بـالله وأشركـتُـهُ

١ تشرين الأول ١٩٣٣ (ونشرت في القبس ٩ ـ ١٠ ـ ١٩٣٤)

---

(١) هي صورة (مرغريتا) الراقصة الاسبانية (انظر قصيدة : غيد اشبيلية) وكان ابراهم أعطى الصورة للفنان مصطفى فروخ كي يكبرها بالألوان المائية .

يا رجال البلاد

لا تبـالي بـألْفِ خَـطْبٍ عـراهـا   نفسُ حُـرٍّ مفجـوعَـةً بحـماهـا
شفَّهـا الغيظُ والأسى وتـراهـا   كَظمتْ غيظها ، وأخفتْ أساها
كلما أوشكتْ تسيـلُ دمـوعـاً   كـاذبـاتٍ ضحكتْ ممّنْ بكـاهـا
قد سقى الأرضَ بائعوها بكـاءً   لَعَنَتْهُـمْ سهـولُهـا وربـاهـا
وطـني مبـتـلىً بعُـصْبـةِ (دلاَّلـين) لا يـتّقـونَ فـيـه الله
في ثيـابٍ تُـريـكَ عِـزاً ولكنْ   حَشْوُها الـذُّلُّ والرِّيـاءُ سَدَاهـا
ووجـوهٍ صفيقـةٍ ليس تَنْـدى   بجلـودٍ مـدبـوغـةٍ تغشـاهـا
وصـدورٍ كـأنهـنَّ قـبـورٌ   مـظلماتٌ قلـوبُهمْ مَـوْتـاهـا
حُسِبـوا في الرجـالِ ، هلْ كـانتْ الأنعامُ إلاَّ لمثلِهم أشبـاهـا . . ؟

*

يـا رجـالَ البـلاد يـا قـادةَ الأمّـةِ مـاذا دهـاكُمُ ودهـاهـا . . ؟
هـلٍ لديكمْ سيـاسـةٌ غـيرُ هـذا القَـوْل يُحيي من النفـوس قـواهـا
صَكّت الألسنُ المسامـعَ حتى   لَقِيَتْ من ضجيجكم ما كفاهـا
عـرفَ النـاسُ والمنـابرُ والأقـلامُ أفضـالَكم فهـاتـوا سـواهـا
كـلكم بـارعٌ بـليـغٌ ـ بحـمـد الله ـ طَـبٌّ بـحـالـنـا ودواهـا
غـيرَ أنَّ المـريضَ يـرقبُ منكمْ   هـذه الجُـرْعـةَ التي لا يـراهـا
كـان أوْلى بكم لـو انَّ مـع القـول فعـالاً محمـودةً عُقْبـاهـا

مَثَلُ القولِ لا يؤيِّدُه الفِعْلُ ، أزاهيرُ لا يفوحُ شذاها
وهو كالدَّوْحَةِ العقيمِ : ظلالٌ واخضرارٌ ولا يُرجّى جناها

*

رحم الله مخلصاً لبلادٍ ساوموه الدّنيا بها فأباها
لو أتوْهُ بالتِّبر وَزْنَ ثراها لأباهُ وقال أفدي ثراها
انْفروا أيُّها النيامُ فهذا يومَ لا ينفعُ العيونَ كراها
كُشِفَتْ منكمُ المقاتلُ وامتدَّتْ اليها المثقفاتُ قناها
نبِّئوني عن القويّ متى كان رحيماً ، هيهاتَ مَنْ عزَّ تاها
لا يلينُ القويُّ حتى يُلاقي مثلَهُ عِزَّةً وبطشاً وجاها
لا سمتْ أمّةٌ دَهَتْها خطوبٌ أرْهَقَتْها ولا يثورُ فتاها

١٩٣٣

بعد عام

إليها . . !

هــواكِ أصبــح نَسْيــاً كــلــوعـتي مَــنْــسـيّــا
قــد كـان شُغــلاً لقلبي فـصـــار قـلبــي خـليّــا
كـأنَّ حــلوَ الأمــاني والــوصـلَ لم تــكُ شيّا
مــسـحــتُ آثــارَ حُبٍّ كــانت عــلى شفـتـيّــا
فيــا جفــونُ استقــرّي عـــاد الــرّقــادُ شـهـيّــا
وارقصْ عــلى حــبّ لــيــلاك يــا فــؤادُ مــليّــا

١٩٣٣

نسر الملوك(*)
رثاء المغفور له صاحب الجلالة
فيصل الأول ملك العراق

ألقيت في حفلة الأربعين التي أقيمت في مدينة نابلس

شيِّعي الليلَ وقومي استقبلي   طلعةَ الشمس وراء الكرملِ
واخشعي ، يوشك أن يغشى الحمى   يا فلسطين سنىً من فيصلِ
يا لها من ديمة يرفعها   منكبُ الأفق لعين المجتلي
نشأتْ أمناً وظلاً وهدىً   كهدى النجم لفلك مقبلِ
ما دنا حتى همى الدمعُ فهل   « إيلياءُ » الغيث فوق الجبلِ ؟
ذلك الفلكُ الذي يحمله   مثلَه منذ جرى لم يحملِ
لو تعدَّى لُجّةَ البحر به   خاض في لجة دمعٍ مسبلِ
وانطوى العاصفُ والموج له   فاكتسى البحرُ غضونَ الجدولِ
وإذا بالفلك يجري بينها   كمرور الطيف بين المقلِ

(*) سافر المغفور له صاحب الجلالة الهاشمية فيصل الأول ملك العراق الى اوروبا ولكنه اضطر للعودة الى العراق بسبب فتنة الآشوريين ثم استأنف السفر الى اوروبا فوافاه الأجل المحتوم في سويسرا وقد نقل جثمانه الطاهر على ظهر باخرة وجيء به الى حيفا حيث كانت فلسطين عن بكرة ابيها بانتظاره . اما فتنة الآشوريين المشار اليها في هذه القصيدة فقد وقف منها المغفور له صاحب الجلالة الملك غازي ـ وكان ولياً للعهد ـ موقفاً صلباً ووقعت بينه وبين البريطانيين مشادة عنيفة بشأنها .

يكـرمُ الـراقـدَ يـدري أنـه   يُؤْثـرُ الـراحـةَ والقلبَ الخـلي
راقـدٌ يـنـعـمُ في ضـجـعـتـه   خلّف الـدنيا بـه في شغـلِ
أيـقظ الـلّوعـةَ فـيـهـا والأسى   وغـفـا بـيـنـهـما لم يحـفـلِ
مـطبقَ الأجفانِ عن جفن طغى   جـامحِ الـدمع وجفنٍ مجفلِ
مـطمئنَّ القلبِ مـا تـزعجـه   زفـراتٌ كـالغضـا المشتـعلِ

ما الذي أعدْدتِ من طيب القرى   يـا فلسـطين لضيفٍ معجـلِ ؟
لا أرى أرضـاً نـلاقـيـه بهـا   قـد أضاعَ الأرضَ بيـعُ السِفَلِ
فاستري وجهَـكِ لا يلمحْ عـلى   صفحتيـهِ الخزيَ فـوقَ الخجلِ

أكـرمي ضيفَـكِ إنْ احببتـه   بـأمـانـيـه الكـبـارِ الحـفَّـل
لا تقـومي حـولَـه معـولـةً   مـن جـلال الملكِ ألاّ تُـعْـولي
واسألي البـاغـين مـاذا هـالَهُمْ   منـه في أكفـانـه إنْ تـسـألي
راعهم حـيّـاً وميتـاً فـاتقـوْا   همَّـةً جـبّـارةً لم تُخْـذلِ
ورأوْا في كـل قـلـب حـولـه   جـذوةَ العـزمِ ونـورَ الأمـلِ
بـطلٌ قـد عـاد من ميـدانـه   ظـافـراً يـا مـرحبـاً بـالبـطلِ

فـارس «الشقراء» يجلو بـاسمها   غمـرةً ليلتُهـا مـا تنجـلي(١)
صـاحبُ التـاجَـيْنِ في مـوكبـه   رايـةُ المجد المنيعِ الأطـولِ(٢)

---

(١) لما أعلنت الثورة العربية الكبرى كان المغفور له الملك فيصل الأول خارج الحجاز في زيارة أعدها له الأتراك وعندما صمم الشريف حسين على اعلان الثورة ضد الأتراك بعث الى ابنه (الأمير) فيصل ببرقية جاء فيها (ارسلوا الفرس الشقراء) دعوة منه لابنه بالعودة الى الحجاز فعاد .

(٢) تاج سوريا وتاج العراق .

من رأى «نسرَ الملوك» المرتجى   طار من عقبانه في جحفلِ
وسواءٌ في الأعاصير مضوْا   أم مضوْا في نفحات الشَّمْألِ
كجنود الله طارتْ خيلُهم   يوم بدرٍ في سماءِ القسطل

من رأى ناراً على عاصفة   هكذا انقضَّ غضوباً من علِ
هبط المعقلَ يخشى حدثاً   ويمينُ الله حِرْزُ المعقلِ [1]
أشِرتْ « آشور » حتى جاءها   أمرُها بين الظبى والأسلِ
كلُّ لؤمٍ وعقوقٍ دونه   فعل «شمعون» لئيم «الموصلِ» [2]
ثورةُ الغاضب للحقِّ تُرى   هذه، أمْ شغبٌ من وُكَّلِ ؟ [3]
ذلك السيفُ الذي جرَّده   فضحته عينُ هذا الصيقلِ
يا لَعَينٍ سهرتْ عن فيصلٍ   تحرس الملكَ له ما تأتلي
رأتْ الغدرَ فآذاها ، فهل   تحملُ الضيم ولمّا تغفلِ
خُلُقٌ في ابنك «غازي» لم يكن   بغريبٍ عن قريب المنهلِ
لم يُطِقْ شبلُك ضيماً سيدي ،   فاستمعْ للعذر قبل العذلِ
قد يكون الحزم في العزمِ وقد   يُكتبُ التوفيقُ للمستعجلِ
غضبةٌ من رجلٍ في أمَّةٍ   جعلته أمةً في رجلِ
من هفا للمثل الأعلى يجدْ   في بني هاشم أعلى مثلِ
أيُّكم يا آل بيت المصطفى   ما قضى مستشهداً منذ «علي»
لا أُحاشي بينكم من أحدٍ   فكميُّ الحرب صِنْوُ الأعزلِ

(١) يشير الشاعر الى عودة المغفور له الملك فيصل الى العراق إثر فتنة الآشوريين .
(٢) شمعون هو زعيم الفتنة الآشورية .
(٣) يتساءل الشاعر هل هذه ثورة قام بها الاشوريون من تلقاء انفسهم ام فتنة حرضهم عليها الأجانب .

كـلكـم يـنـشـأُ قـلبـاً ويـداً   ولسـانـاً في جهـاد المبـطلِ
فـتـح الخـلدُ لـكـم هـيـكـلـه   فـإذا أنـتـم بُـدورُ الهـيـكـلِ
ضمَّ جـبـريـل جنـاحيـه عـلى   سؤْددٍ محض ونُبْـلٍ أمثـلِ
وأطـاف المـلأ الأعـلى بمَـنْ   عـزمـه في الحقِّ عـزمُ الرسـلِ
فيصـلٌ شيّـدَ ملكـاً لم يـزل   بـحمى الله وغـازي يـعتـلي
وبـشعـبٍ بـذلَ الـروحَ ومـن   ينشُـدِ الملكَ وطيـداً يَبْـذُلِ
ليس من «حـامٍ» لكيـدٍ ينبري   فـيـه أو «منـتـدب» مختـتـلِ
أضرمـوا النـارَ وصبّـوا فـوقهـا   دَمَـهـم حُـرّاً أبـيّـاً يـغـتـلي
صهـروا الأغلالَ وانصـاعوا الى   دنس الأرضِ فقـالـوا اغتسـلي
وإذا دجـلـةُ عَـذْبٌ ورِدُهـا   وإذا النخـلُ كـريمُ المـأكـلِ
وإذا بـغـداد ممـا ازدهـرت   حليـةُ التـاريـخ بعـد العـطلِ
ووقـاهـا الله والـعـون بـه   دولَ الـغـدرِ وغـدرَ الـدُّولِ

١٩٣٣

وِرد يغيضُ وهجرة تتدفق
رثاء المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

وجه القضية من جهادك مشرق ... وعلى جهادك من وقارك رونقُ
لله قلبك في الكهولة إنه ... ترك الشبيبة في حياءٍ تطرقُ
قلب وراء الشيب متقد الصّبا ... كالجمر تحت رماده يتحرَّقُ
أقدمتَ حتى ظلَّ يعجب واجماً ... جيش من الأيام حولك محدقُ
تلك الثمانون التي وفّيْتها ... في نصفها عذرٌ لمن لا يلحقُ
لكن سبقت بها ، فما لمقصّرٍ ... سبب لمعذرة به يتعلقُ
غَمّرْتَها كالدوح ظاهر عوده ... صلب وما ينفك غضاً يورقُ

وطني أخاف عليك قوماً أصبحوا ... يتساءلون: مَن الزعيم الأليقُ ؟[1]
لا تفتحوا باب الشقاق فإنه ... باب على سود العواقب مغلَقُ
والله لا يرجى الخلاص وأمركم ... فوضى ، وشمل العاملين ممزقُ
أين الصفوف تَنَسّقَتْ فكأنما ... هي حائط دون الهوان وخندقُ
أين القلوب تألَّفَتْ فتدافعتْ ... تغشى اللهيب وكل قلب فيلقُ

---

(١) يشير الشاعر الى ما كان يتردد بين الناس من اختلاف على من سيخلف المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني في رئاسة اللجنة التنفيذية العربية وهي التي كانت توجه الحركة الوطنية في فلسطين . ويذكر القارىء ان المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني هو والد شهيد فلسطين المرحوم عبد القادر الحسيني طيب الله ثراهما .

أين الأكفُّ تصافحتْ وتساجلَتْ تَبْني وتصنــع للخـلاص وتنفقُ
أمـا الزعـامـةُ فـالحـوادث أمُّهـا تُعْطى على قـدر الفداء وتُـرزَقُ

يا ابنَ البلاد، وأنت سيد أرضها وسـمائهـا ، إنّي عليـك لمشفقُ
انـظر لعيشـك هــل يسرك أنـه وِرْدٌ يـغيض وهـجـرة تتــدفـقُ
ماذا يردّ الظلم عنك ، أحسـرةٌ أمْ زفـرةٌ، أمْ عَبْرةٌ تـترقــرقُ
أمْ بثُّـك الشكـوى تـظن بيـانَها سحراً وحجَّتها الضحى يتألقُ !
لا تلجـأنَّ اذا ظُلِمْـتَ لمنـطق فهنـاك أضيع مـا يكون المنـطقُ

أفْضى الرئيس الى ظلال نعيمـه وارتــاح قلبُ بـالقضيــة يخفق
آثـاره مـلءُ العيـون ، ورروحـه ملءُ الصدور وذكره لا يخلقُ[1]

نشرت في ٦ ـ ٥ ـ ١٩٣٤

---

(١) قيل لابراهيم: « ما هذا الرثاء؟ لم تقل عنه أكثر من أنه كـان رجلاً عجـوزاً فيه خير » ؛ وقد شاء ابراهيم أن ينصرف عن الرثاء ، إلى موضوع أبرز كان يشغل كل فلسطيني .

أطلقي ذاك العيارا
« في ذكرى وفاة الشريف حسين »

« ... وتوكل الشريف على الله ، ونهض في صباح اليوم التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ - ٢ حزيران سنة ١٩٢٢ - قبل الفجر وبيده بندقية أطلقها طلقة واحدة كان لدويها صدى في جدة والطائف والمدينة ... »

ملوك العرب للريحاني : ج ١

١

أطلقي ذاكِ العيارا   قَدْكِ ضيماً واصطبارا
يُطلبُ العزُّ ابتدارا   يدرك المجد اقْتِسارا
أطلقي ذاكِ العيارا
حطِّمي القيدَ الثقيلا   واركبي الهولَ سبيلا
عاش يا نفسُ ذليلا   بك من كان بخيلا
أطلقي ذاكِ العيارا
دبِّري الأمرَ نهارا   واطلبي الحقَّ جهارا
واهبطي الهيجاءَ دارا   ذلَّ من يُغفل ثارا
أطلقي ذاكِ العيارا

يـــا لأعنـــاقِ الـــرجـــالِ   كيف مـــالت بـــالحبـــالِ
فـهــاكِ أشبــالي ومــالي   وعــتـــادي لـــلقـــتـــالِ

أطلقي ذاكِ العيارا

أعْنَقَتْ تسري انتشـارا   فـكـرةٌ تحـمـلُ نـارا
تهـبطُ الـقـلـبَ قـرارا   تُلهبُ الصَّـدرَ استعـارا

أطلقي ذاكِ العيارا

عَـلِقَـتْ ثَـمَّ يـداه بـزنـاد   فـطـواهُ
أضرم الـبـيـدَ سـنـاهُ ثـم   ردَّدن صـداهُ

أطلقي ذاكِ العيارا

٢

انـظري يـوم أغـارا   أيَّ أبـطالٍ أثـارا
أيَّ كـاسـاتٍ أدارا   بـين صرعى وسُكـارى

أطلقي ذاكِ العيارا

أحشـدي البيدَ أُسـودا   واملأي الشـامَ حقـودا
ووعـوداً وعـهـودا   وبـنـوداً وبـنـودا

أطلقي ذاكِ العيارا

المـنـايـا تـتـبـارى   والأمـانيَّ الـكـبـارا
طبِّقي الأرضَ انتصـارا   واعـتـزازاً وافـتـخـارا

أطلقي ذاك العيارا

اغـدري غـدرَ القـويِّ   بـالحسين بـن عـليِّ[1]

---

(١) الضمير يعود الى بريطانيا العظمى .

لستِ بالخلِّ الوفيِّ   للحليفِ العربيِّ

فاملأي التاريخ عارا

أمَّتي ، قَدْكِ اصطبارا   فاطلبي العزَّ ابتدارا

وخذي المجد اقتسارا   هاجني الماضي ادَّكارا

أطلقي ذاكِ العيارا

نشرت في ١١ - ٦ - ١٩٣٤

الشهيــد

عبس الخــطبُ فــابتسمْ　وطغى الهــولُ فــاقتحــمْ
رابطَ الجــأشِ والــنُهى　ثــابتَ القــلبِ والقــدمْ
لم يُــبــالِ الأذى ولم　يَــثْــنِــه طــارئُ الألمْ
نــفــسُــه طَــوْعُ هِمَّــةٍ　وَجَمَــتْ دونَها الهــمــمْ
تــلتقــي في مــزاجِــهــا　بــالأعــاصيــر والحُمــمْ
تجمــعُ الهــائــجَ الخِضَمَّ　الى الــراســخِ الأشَــمْ
وَهْــيَ مــن عُــنصر الــفِــدَاءِ ومــن جــوْهــرِ الــكــرمْ
ومــن الحــقّ جــذْوةٌ　لــفــحُــهــا حــرَّرَ الأمــمْ

ســـارَ في منهــج العــلى　يــطرُقُ الخــلدَ مــنــزلا
لا يــبــالي ، مكــبَّــلا　نــالَــهُ أمْ مُجَــدَّلا
فهو رهْنٌ بما عزمْ
ربمــا غــالَــهُ الــرَّدى　وهــو بــالسجنِ مُــرتهنْ
لم يُــشــيَّــعْ بــدمــعــةٍ　مــن حبيــبٍ ولا سَــكَــنْ
ربمــا أُدرج الــترابَ　سليبــاً مــن الــكــفــنْ
لستَ تــدري بطاحُهــا　غــيَّبــتْــهُ أم الــقُــنــنْ
لا تــقــلْ أين جــســمُــه　واســمُــه في فم الــزمنْ
انــه كــوكــبُ الهــدى　لاحَ في غــيْهــبِ المحــنْ
أرســلَ النُّورَ في العيــونِ　فــما تــعــرفُ الــوســنْ

ورمى النــارَ في الـقلوبِ فــما تـعــرفُ الـضِّـغَـنْ

أيُّ وجــه تهــلّلا يَــرِدُ المــوتَ مُــقْــبــلا
صعَّــدَ الـرُّوحَ مُــرسلا لحَــنَــهُ يُــنْــشِــدُ المــلا
أنا لله والوطنْ

نشرت في ١٨ ـ ٦ ـ ١٩٣٤

الى الأحرار

قرر الزعماء العرب في فلسطين الخروج بعد صلاة الجمعة من كل اسبوع بمظاهرة سلمية تعلن في المدن الفلسطينية ، الواحدة تلو الأخرى ، فألقت الشرطة البريطانية القبض على بعض الزعماء العرب واعتبرتهم مسؤولين عن هذه المظاهرات وساقتهم الى المحاكمة . ثم صدر عليهم الحكم بالسجن أو توقيع الكفالات . فوقعوا كلهم إلا المرحوم الشيخ عبد القادر المظفر الذي فضل السجن على توقيع الكفالة .

أحرارَنا! قد كشفتم عن (بطولتكم) غطاءَها يوم توقيع الكفالات ..
أنتم رجال خطابات منمّقة كما علمنا ، وأبطال (احتجاجات)
وقد شبعتم ظهوراً في (مظاهرةٍ) (مشروعةٍ !) وسكرتم بالهتافاتِ
ولو أُصيب بجرحٍ بعضُكم خطأً فيها ، إذاً لرتعتم بالحفاواتِ
بل حكمةُ الله كانت في سلامتكم لأنكم غير أهل للشهاداتِ

أضحتْ فلسطينُ من غيظ تصيح بكم : خلُّوا الطريق فلستم من رجالاتي
ذاك السجين[1] الذي أعلى كرامته فداؤه كل طلّاب الزعاماتِ

٧ - ٧ - ١٩٣٤ ونُشرت في ١٠ - ٧ - ١٩٣٤

---

(١) الاشارة الى الشيخ عبد القادر المظفر ، رحمه الله

فلسطين مهد الشهداء

كان بعض الناس في الأقطار العربية المجاورة يرون الثراء الزائف الذي تمتعت به قلة من السماسرة وباعة الأراضي العرب فتعمى قلوبهم عما وراء هذه البيوع من خطر سيحل بفلسطين .

إخوانَنا أهلَ الوفاءِ أهلَ المودَّةِ والولاءِ
مِنْ كلِّ قُطْرٍ بالعُرو بة ذي ازدهارٍ وازدهاءِ
أحبابَنا لاَ تُخدَعوا عنَّا بظاهرةِ الرَّخاءِ . . .
ليستْ فلسطينُ الرخيَّة غَيْرَ مهدٍ للشّقاءِ
عُرِضَتْ لكم خلفَ الزّجاج تميسُ في حلل البهاءِ
هيهات ذلكَ إنَّ في بَيْعِ الثّرى فَقْدَ الثّراءِ
فيه الرحيلُ عن الربوع غداً إلى وادي الفناءِ ![1]
فاليوم أمرحُ كاسياً وغداً سأُنبذ بالعراءِ
وأضَعْتُ صادقة الرَّجاءِ فأيْنَ كاذبةُ الرَّجاءِ
مَنْ ذا ألومُ سوى بني وطني على هذا البَلاءِ

* * *

للحَقِّ سَطْرٌ في صحافتِنا وللتّضْليلِ نهرُ

(١) لقد تحققت تلك النبوءة .

قَلَّبْ صحائفَها يُطِلُّ عليك بهتانٌ وهُجْرُ
للخاملين نباهةٌ فيها وللأغمارِ ذكرُ
هذا يُقالُ له الزَّعيمُ .. كما يُقالُ لذاكَ حُرٌّ ..
وهناكَ سمْسارُ البلادِ فإنه الشَّهْمُ الأغرُّ
فالمدحُ مثلُ القدحِ تضْمنُهُ لهم خُضْرٌ وحمرُ(١)
تلك الصحافة (كيمياء) لها بخلق الله سِرٌّ ..
تدع الكرامةَ وهي هزلٌ والمروءةَ وهي سُخْرُ
أين الصحافيُّ الصّريحُ تراهُ يعلن ما يُسِرُّ
صلْبٌ فلا قُرْبى تميلُ به، ولا مالٌ يَغُرُّ

* * *

مُنْذُ احتِلالِ الغاصبين ونحن نبحث في السياسهْ
شأنُ الضمير مع السِّياسة كالرَّقيق مع النّخاسهْ
مرَّتْ علينا ستَّ عَشْرةَ، كُنَّ مَجْلَبَةَ التّعاسهْ
فإلى متى يا ابنَ البلاد وأنت تُؤْخذُ بالحماسهْ
وإلى متى (زعماءُ) قومِكَ يخلبونك بالكياسه
ولكم أحَطْنا خائناً منهم بهالاتِ القَداسهْ
ولكم أضاعَ حقوقَنا الرَّجلُ الموكَّلُ بالحراسهْ! ..
والله ليس هناك إلَّا كلُّ قنّاصِ الرئاسهْ

---

(١) إشارة الى ورق النقد الفلسطيني .

تــأتـيـه مِـنْ بَـيْـع الـبـلادِ   ومـا إلـيـه مـن الخـسـاسـهْ
وإذا اتّـقـاك (فـبـالجـرائـد) فالـنـجاسـةُ لـلـنـجـاسـه[1]

والقطعة الأخيرة مؤرخة ٨ - ١٠ - ١٩٣٤ ١٩ - ١٠ - ١٩٣٤

(١) كثر في ذلك الحين تسليط الصحافة للنيل من كرامات الناس .

مصرع بلبل (١)

حكاية رمزية تمثل الواقع في حياة المدن الكبرى حين يدخل غمارها الشاب قادماً من البلدة الصغيرة او القرية البسيطة . . . هذه الحياة الصاخبة تخلب ذلك الشاب بزخرفها وفنون لهوها وألوان عبثها ، تجتذبه فيرتمي بين احضانها ويلقي بقياده اليها فتذهب به في مزالق الضلال كل مذهب .

ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح ، وتنقشع نشوتها عن صحو مضى أوانه . . . فإذا هنالك افلاس في احد ثلاثة : في المال ، او الصحة ، او المستقبل . وكثيراً ما اعلن الافلاس في الثلاثة جميعاً ، وهنالك الفاجعة الأبدية . . . أما « البلبل » في هذه الحكاية فرمز الشاب المخدوع ، واما « الوردة » فرمز بائعة اللهو والعبث . . . ، وأما « الروض » فهو رمز الحانة أو الملهى .

قَدَرٌ ساقه فآواهُ روضاً لم يكنْ طار فيه قبلاً وغنّى
فاستوى فوق ايكة ورمى عينيه فيها هناك يُسرى ويُمنى
وإذا الروضُ بهجةُ الروح طيباً وظلالاً ، وفتنةُ العين حسنا

(١) بدأ نظمها أواسط ١٩٣٢ واستوحاها من إحدى رقصات الراقصة الاسبانية (مرغريتا) متأثراً بقصيدة « البلبل والوردة » لأوسكار وايلد .

وكـأنَّ الغـديـرَ بـيـن ضـلالٍ   وهـدىً كـلـما استـوى أو تـثنّى
تنحني فـوقـه كـرائمُ ذاك الـدوح منهـا الجنى ، وكم يتجنّى . .
مـطمئنٌ يسير تيهـاً ، فـإن رامٍ عنـاقَ الصخـورِ صـدَّتْ فجُنّـا
هكـذا يصبـح الحبيبُ المعني   بعـد حينٍ وهـو المحب المعنّى

ومضى البلبـلُ الغـريبُ يـطوف الـروضَ حتى انـزوى محيّـا النهـارِ
راح يـأوي الى الغصـون ولكن   كيف يـغفـو مـشـرَّدُ الأفكـارِ
كـان في الروض فـوق ما يتمنى   مـن فـنـون الأثـمار والأزهـارِ
غـير أنْ ليس فيـه طـير يغني   أيّ روض يحـلو بـلا أطيـارِ
وسـرتْ فيـه رعـدة حـين لم يلق سـوى دارسٍ مـن الأوكـار
وبقـايـا نـواقفٍ رخـم المـوت عـليهـا ، مخضَّب الأظـفـارِ
أيّ خطبٍ أصابكمْ معشرَ الطير . . ؟ وماذا في الروض من أسرارِ ؟

طلع الفجـر بـاسـماً إثـرَ ليـلٍ   دونـه وحشـةً كهـوف المنيَّـهْ
تتـنزَّى أشبـاحـه صـاخبـاتٍ   عـاريـاتٍ ، أكـفُّهـا دمـويَّـهْ
ورُجـومٌ تفـري الغيـوم وتهـوي   كـل رجمٍ من الجحيم شـظيَّـهْ
وخسـوف تحدَّث البـدر فيـه   بفم الحـوت منـذراً بـرزيَّـهْ
ذاك ليـل قضى عـلى البلبـل المنكـود لـولا يـدٌ تصـدَّتْ عَليَّـهْ
ملكـه عـرشهـا المشـارق ، والتـاج سنـاهـا ، أعـظِمْ بهـا شرقيَّـهْ
أنقـذتـه فهبَّ يشـدو شكـوراً   مـرحاً ، هـاتفاً لهـا بـالتحيَّـهْ :

مـليـكـة الـنـيِّـراتْ   آلهـة   المـشـرقَـيْـنْ
الـنـاس في الغـابـراتْ   إلـيـك مـدّوا اليـديْـنْ

وأحـــرقـــوا في الـصـــلاةْ نـضـــارهـــم واللُّجَـيْــنْ
وقـرَّبـوا الأعناقْ
زلفى تراقْ

يـــا لـيـــل إن الصبـــاحْ رمـــز حـيــاة الـــورى
أنـفـــاسُـــه في الـبـــطاحْ وروحـــه في الـــذرى
أمـــا رأيـــت الأقـــاحْ أفـــاق بـعـــد الـكـــرى
وضوَّع الآفاقْ
لما أفاقْ

هـنـــاك راعي الـغـنـــمْ جـــذلان ، حـيٌّ الفـؤادْ
يـــرتـــع بـــين الأكـــم يهـيـــم في كـــل وادْ
والـنـــايُ صبَّ الـنـغـــمْ وبـثَّـــه فـــي الـــوهـــادْ
كزفزة الأشواق
غِبَّ الفراقْ

*

نسي الــطيرُ همَّــه حــين غــنىً قــلما يـسـتـقـرّ هـمٌّ الــطروبِ
أَلِـف الــروض مفــرداً وتـــولّى عنـه في دوحـه شعـورُ الغـريبِ
مستقلٌّ في الملك ، لا من شريكٍ طــامـعٍ يُتَّقى ، ولا من رقيبِ
مــطلقٌ ، يستـقــرُّ عنــد نمـيرٍ تــارة او يـقيــل فــوق رطيــبِ
وإذا (وردة) تــفــيضُ جمــالاً تتهــادى مـع النسيم اللعــوبِ

قـد حمتهـا أشـواكُهـا مشرعـاتٍ   حـولها دون عـابث أو غصـوبِ
تمنـح العـين حـين تبـدو وتخفى   من ضروب الاغراء كل عجيبِ

كــلُّ قلبٍ لـه هــواه. . ولكن   ليس يـدري متى يجيء زمـانُــهُ
وهـو إمَّـا في ظـلِّ جفن كحيـل   كـامن السحر ، راقـد أفعـوانُـهْ
أو وراء ابـتسـامــة حـلوةِ الثغــر ، نقـيّ ، مفلّجٍ أقـحـوانُــهْ
أو عـلى الصدر يستـوي فـوق عـرشـين . . مكيناً مؤيـداً سلطانُـهْ
فـإذا كان لفحـةً من جحيم الـرجس . . أملى أحكـامَـه شيـطانُـهْ
وإذا هبَّ نفحــةً من نعيم الـطهــر . . قـامت ركينـة أركـانُــهْ
هـوذا الحب فليكن حـين يـأتيك بــريئـاً من كــل عيب مكـانُــهْ

صــارت الــوردة الخـليعــة للبـلبــل همّــاً ومــأربــاً يُـشـقـيــهِ
حسرتـا للغـريـر أصبـح كـربـاً   مـا يـلاقيــه من دلالٍ وتيــهِ
شـفَّـه السـهـدُ واعـتـراهُ من   الحبّ سقــامُ مـبـرّحٌ يضـنيــهِ
من رآهــا وقـد تحـامـل يهفــو   نحوها ، كيف أعـرضت تغريـهِ
من رأى روحــه تسيـل نشيـداً   لاهبـاً ، لـوعـةُ الأسى تُـذكيــهِ
هي (حوّاء) ذلك الخلد فـاحذرْ   لا تـكــوننَّ أنـت (آدمَ) فيــهِ
لا تهب قلبــك الكـريمَ لئيـمـاً   تحت رجليـه عـابثـاً يلقيــهِ

هــل يـرى في ظــلال وردتــه   الحمـراء سرّاً بـدا وكـان خفيّـا
هـل يـرى للطيـور فيهـا قلوبـاً   نـبــذتهــنَّ يــابســاً وجـنـيَّـا
هـل يرى اليـوم ما الـذي جعل الـروض كئيباً من الـطيـور خليّـا
كم نــذيــرٍ بــدا لعينيــه حتَّى   قام شخص الردى هنـاك سويَّـا

سـامـه حـبُّـه شقـاء ولـكن نعمـة الحب أن يكـون شقيّـا
والهـوى يطمس العيـون ويُلقي في قـرار الأسـماع منـه دويًّـا
هكـذا يسلك المحب طـريق الخـوف أمناً ويحسب الـرشـد غيًّـا

من تـرى علّم البخيلة حتى سمحت أن يقبِّـل الـطير فـاهـا
لم يصـدِّقْ عينيـه حـتى أطلَّتْ وأطـالـت في ختـله نجـواهـا
زلزل الروض عند ذلك بالألحان فـاسمع روايتي عن صـداهـا :

نشيد البلبل للوردة

أنـشـدي يـا صَـبـا وارقصي يـا غـصـونْ
واسـقـني يـا نـدى بـين لحظ الـعـيـونْ
فـيـك يـا وردتي قـد حـلا لي الجنـونْ
أنـا مـني الهـوى أنـت منـك الـفـتـونْ
أنشري مـا طـوتْ مـن غـرامي السـنـونْ
كـان في أضـلعـي فَـرَوَتْـهُ الجـفـونْ
اقـربي مـن فـمـي فـحـديـثـي شـجـونْ . .

*

ضمَّها الطير مطبقاً بجناحيه ، وهمَّت بثغره شفتاها
لم يُمتَّعْ بنشوة الحب حتى   أشرعت شوكة تلظَّى شباها
اوردتها قلباً ، إذا رفَّ يوماً   خافقاً للهوى فذاك هواها
كرعت في الدم البريء فلما   عكسته وهَّاجةً وجنتاها
نظر الطير نظرةً أعقبتْها   روحُه طيّ شهقة معناها :
وردة تبهر العيون ولكن   كثرةُ الشمِّ قد أضاعتْ شذاها

١٩٣٤

يـا قـوم . . !

هَــزِلَتْ قضـيَّتُـكم فــلا لحــمٌ هــنــاك ولا دم
حــتى الـعــظام فــقــد تعـرَّفَها الـذئابُ وأُتخِمـوا
بَـلِيَتْ قـضـيتـكـم فـصــارت هـيـكــلاً يـتـهـدَّمُ
ضَـمَــرَتْ إلى (بـلديَّــةٍ) فيهــا العـداء تتحكَّمُ[1]
أوضــاعُــهــا مجـهــولـةٌ ومـصــيرهــا لا يُعــلَمُ
يــا قــوم ليس عــدوُّكم ممّــن يــلين ويــرحــمُ
يــا قــوم ليس أمــامكم إلاَّ الجــلاء فــحــزِّمـوا . .[2]

١٨ - ١ - ١٩٣٥

---

(١) كان الخصام بين الأحزاب العربية وقتئذ على أشده بسبب انتخابات البلديات في المدن الفلسطينية .

(٢) وقد وقع ذلك ويا للأسف . .

الإيمان الوطني
أو
جماعة (السار)

ليت لي من جماعة (السّار) قوماً   يتفـانـون في خـلاص البـلادِ
أو كـإيمـانهم رسـوخـاً عميقـاً   ثـابت الأصـل في قـرار الفؤادِ
مثـل هـذا الايمـان يَضْمَنُ لـلأوطـان عـزّاً ، ومثـل هـذا التفـادي
لا كإيمان من تـرى في فلسطين . . . قصـيرِ المدى ، كليـلِ الزنـادِ
يـتـداعـى إذا تـسـلّطَ وعـدٌ   أو وعيـدَ عليـه عنـد العـوادي
أو قطوبٌ . . . تخيب منه المساعي ،   وابتسامٌ . . . تذوب فيه المبادي
لا تلمني إن لم أجد من وميضٍ   لـرجـاءٍ مـا بـين هـذا السـوادِ

١٣ ـ ١ ـ ١٩٣٥

الشيخ المظفر(*)

أُنظر لِمَا فعل (المظفَّر)، إنه ... نَفَعَ القضيةَ غائباً لم يحضرِ!.
أحيى القلوب ، ودونهنَّ ودونَه ... غرفُ الحديد ، وحامياتُ العسكرِ
عرضوا الكفالةَ والكرامةَ عنده ... عبثاً .. وهل عَرَضٌ يقاس بجوهرِ؟
ورأى التحيُّزَ في التخيُّرِ سُبّةً ... ففدى كرامته (بستّة أشهُرِ)
لم يخْلُ ميدانُ الجهاد بسَجْنه ... فلقد رماه بقلبه المتسعّرِ
ولكم خلا بوجود جيشٍ زاخرٍ ... يمشي إليه بِخَطْوِهِ المتعثّرِ
إن (المظفَّر) من حديدٍ جسمُه ... فيما أرى ، وجسومُهم من سُكّرِ!

٢٨ - ١ - ١٩٣٥

(*) الاشارة هنا الى الشيخ عبد القادر المظفر ، رحمه الله ، وانظر ص : ١٩٩ .

السماسرة . . !

أمّا سماسرةُ البلاد فعصبةٌ عارٌ على أهل البلاد بقاؤها
إبليسُ أعلن صاغراً إفلاسَه لما تحقّق عنده إغراؤها
يتنعّمون مُكرَّمين ، كأنما لنعيمهم عمَّ البلاد شقاؤها
همْ أهلُ نجدتها، وإن أنكرتَهم وهمو ، وأنفك راغم ، زعماؤها !!
وحُماتُها ، وبهم يتمّ خرابُها وعلى يديهمْ بَيْعُها وشراؤها
ومن العجائب إنْ كشفتَ قدورَهم أنَّ الجرائد ، بعضَهنَّ ، غطاؤها[1]
كيف الخلاص إذا النفوس تزاحمت أطماعُها ، وتدافعتْ أهواؤها

١ - ٢ - ١٩٣٥

(١) الإشارة الى بعض الجرائد المأجورة التي كانت تدافع عن فئة من السماسرة وتستر خيانتهم .

أيها الأقوياء(*)

قد شهدنا لعهدكم (بالعدالهْ) . .   وختمنا لجندكم بالبسالَهْ ! .
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً   كيف ننسى انتدابَه واحتلالَهْ . .
وخجلنا من (لطفكم) يوم قلتم :   وعدُ بلفور نافذٌ لا مَحالَهْ
كلُّ (أفضالكم) على الرأس والعين ، وليست في حاجة لدلالَهْ ! .
ولئن ساء حالُنا فكفانا   أنكم عندنا بأحسن حالَهْ . .
غير أن الطريق طالتْ علينا   وعليكم . . . فما لنا والاطالَهْ ؟ !
أجلاءٌ عن البلاد تريدون فنجلو ، أم مَحْقنا والازالَهْ ؟(1)

٤ - ٢ - ١٩٣٥

(*) موجهة الى حكومة الانتداب البريطانية .

(١) ولقد تحقق الجلاء عن الديار . . .

زيادة الطِّين . . ![*]

من كـان ينكر نـوحاً او سفينَتَـه　　فـإن نوحـاً بأمـر الله قدعـادا!!
حلَّ الوبـالُ «بعيبالٍ» فمـالَ به　　يـا هيبةَ الله إبـراقـاً وإرعـادا[1]
في جارفٍ كعجيج البحر طاغيةٍ　　أمـواجُهُ تحمـل الأسواقَ امـدادا
ولا تـزالُ من الـزلـزال بـاقيـةٌ　　تذكارُها يوقـد الأكبادَ إيقـادا[2]

منذ احتللتم وشؤْمُ العيش يرهقنا　　فقـراً وجوْراً وإتْعـاسـاً وإفسـاداً
بفضلكم قد طغى طوفانُ «هجرتهم»　　وكـان وعـداً تلقَّيناه إيعادا[3]
واليوم ، من شؤْمكم، نُبلى بكارثةٍ　　هذا هو الطِّينُ والماءُ الذي زادا . .

١٠ - ٢ - ١٩٣٥

(*) بمناسبة الطوفان الذي طغى على مدينة نابلس وضواحيها سنة ١٩٣٥ .

(١) تقع مدينة نابلس بين جبلي : عيبال في الجهة الشمالية وجرزيم في الجهة الجنوبية .

(٢) هو الزلزال الذي وقع سنة ١٩٢٧ . وقـد خسرت فيه نـابلس الكثير من الأرواح والأموال .

(٣) إشارة الى الهجرة اليهودية الى فلسطين وإلى وعد بلفور .

إلـى ثقيـل

أنت (كالاحتلال) زهـواً وكبراً أنت (كالانتداب) عجبـاً وتيها
أنت (كالهجرة) التي فـرضوهـا ليس من حيلة لقــومـك فيهــا
أنت أنكى من (بائع الارض) عندي أنت (أعـذاره) التي يدعيها
لـك وجه كـأنه وجـه (سمسـا ر) على شرط أن يكون وجيهـا
وجبـين مثـل (الجـريدة) لـمـا لم تجـد كـاتبـاً عفيفـاً نـزيهـا
وحديث فيه ابتذال (احتجاج) كــلما نمــقــوه عــاد كــريهـا
جمعت فيـك (عصبة) للبـلايـا وأرى كـل أمـة تـشتـكيـهـا

١٧ - ٢ - ١٩٣٥

تعزية البيت الهاشمي
الى روح المغفور له
الملك علي بن الحسين

بني هـاشم بـين المنـايـا وبينكم تراثٌ وما تغفو المنايا عن الوِتْـرِ
مضت (بأبي الأشبال) يستشهد الوغى وراياته فيها على دول الغدرِ[1]
وما نكّبَتْ عن (شاكر) بعد (فيصلٍ) وغالت (علياً) واللواعج في الصدرِ[2]
مقامات أقيـالٍ تغيب شموسهـا وغـارات أبطال تُـرَدّ عن النصرِ
بني هـاشم لا أخمَدَتْ جمـراتِكم ولا أغمدت أسيافكم نوبُ الدهرِ
بأوجهكم تنفضُ حالكة الدُّجى وأيْمـانكم تـرفضُ مجفلةُ القـطرِ
ونيـطتْ (بعبـدالله) آمــالُ أمَّـةٍ وفي ظلّ (غازي) عُوْدُ أيامِها الغرِّ

١٩ - ٢ - ١٩٣٥

---

(١) (أبو الأشبال) هو المغفور له صاحب الجلالة الملك حسين بن علي بن عون .
(٢) (شاكر) هو المغفور له الأمير شاكر بن زيد من أبطال العرب .

غايتي

إن قلبي لبلادي لا لحزبٍ أو زعيمِ
لم أبِعْهُ لشقيقٍ أو صديقٍ لي حميمِ
ليس مني لو أراه مرةً غيرَ سليمِ
ولساني كفؤادي نيَط منه بالصَّميمِ
وغدي يُشبه يومي وحديثي كقديمي
لم أهَبْ غيظَ كريم لا ولا كيْدَ لئيمِ
غايتي خدمةُ قومي بشقائي أو نعيمي

٢٥ - ٢ - ١٩٣٥

مناهج . . !

أمــامَــك أيُّهــا العــربيُّ يــومٌ   تشيبُ لهــولـهِ ســودُ النـواصي
وأنت، كـما عهدتـك، لا تبـالي   بغـير مظاهِـرِ العَبَثِ الرّخـاصِ
مصــيرك بـات يَلْمُسُــه الأداني   وسـار حـديثُــهُ بـين الأقــاصي
فـلا رَحْبُ القصـور غـداً ببـاقٍ   لساكنها ولا ضيق الخصاصِ [1]

لنـا خصمان: ذو حـوْلٍ وطولٍ   وآخر ذو احتيالٍ واقتنـاصِ [2]
تـواصــوْا بينهـم فــأتى وبــالاً   وإذلالاً لــنــا ذاك التــواصي
منــاهـجُ لــلابـادة واضحــاتٌ   وبــالحسنى تنفَّـذُ والــرصـاصِ

٣ - ٣ - ١٩٣٥

---

(١) لا حاجة الى القول إن ذلك كله قد تحقق ويا للعار ! .

(٢) الدولة البريطانية المنتدبة والصهيونية هما الخصمان .

أنتـــم . . !(*)

أنتم (المخلصــون) للوطنـيّــهْ   أنتمُ الحـاملون عبء القضيّهْ !!
أنتم العاملون من غير قـولٍ !!   بـارك الله في الزنـود القويّـهْ !!
(وبيـانٌ) منكم يعـادل جيشـاً   بمعــدَّات زحفــه الحــربيّـهْ . .
(واجتمـاعٌ) منكم يَـرُدُّ علينــا   غـابرَ المجـدِ من فتوح أُميّـهْ . .
وخـلاصُ البلادِ صـار على البـاب ؛ وجاءت أعيـادُه الـورديّـهْ . .
ما جَحَدنا (أفضالكم) ، غير أنّا   لم تــزل في نفـوسنــا أُمنيَّــهْ :
في يــديْنـا بقيّــةٌ من بـلادٍ . .   فـاستريحـوا كيـلا تــطير البقيَّـهْ

١٠ - ٣ - ١٩٣٥

(*) موجهة الى الزعماء الفلسطينيين .

لِمَن الرّبيع . . ؟

أرأيتَ مملكـةَ الـربيـعِ   يُعيـدُ رونَقَهـا الـربيـع
ويُتَـوَّجُ الـراعـي بهـا   مِلكـاً رعيّتُه القـطيـعُ
الـذئبُ يَـرْهَبُـه ويلثمُ   كفَّـه الحمـلُ الـوديـعُ
آذار في رَحْـبِ الفـضـاءِ سفـيرُ دولـتـه الـرفيـع
هـاتيـك ألـوانٌ تشـعُّ ، وتـلكَ ألحـانٌ تَـشيـعُ
لمن الـربيعُ وطيبُـه ؟ وهـواه ، والـزَّهَـرُ البـديـعُ ؟ .
فـرحُ الـربيـعِ لمنْ لـه   أرضٌ ، وليس لمن يبيعُ . .

١٦ - ٣ - ١٩٣٥

يا حسرتا . .

يا حسرتا، ماذا دهى أهل الحمى فـــالعيشُ ذلٌّ ، والمصـير بَـــوار
أرأيتَ أيَّ كـــرامـة كـــانت لهمْ واليوم كيف الى الاهانـة صاروا
سَهُلَ الهوان على النفوس فلم يعد للجرح من ألمٍ . . . وخفَّ العارُ
همدتْ عزائمهُم ، فلو شبَّت لظى لتثـــيرَهـــا فيهم ، فليس تُـثـــارُ
الـظالمُ الباغي يسـوس أُمـورَهم واللـــصُّ والجاســـوسُ والسمسارُ

يا من تعلّل بالسياسة . . . ظنّها لَـطُفَتْ ، وَلاَنَ عَصِيُّهـا الجبّـارُ
ما لطفُها؟ ما اللين ذاك؟ وكلهم مستعمـــرون وكلُّـــه استـعمـــارُ

٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٣٥

١٠٠٠ (*)

أرى عـدداً في الشؤم لا كثلاثـةٍ   وعشر، ولكن فـاقَه في المصائبِ
هو (الألفُ) . . لم تعرف فلسطين ضربةً   أشدَّ وأنكى منه يوماً لضارب
يهاجر ألفٌ . . ثم ألفٌ مهرباً . .   ويدخل ألفٌ سائحاً، غير آيبِ . .
وألف (جـوازٍ)، ثم ألف وسيلةٍ   لتسهيل ما يلقونه من مصـاعبِ
وفي البحر آلافٌ . . كأنَّ عبـابَه   وأمـواجَه مشحـونةٌ في المـراكبِ

*

بني وطني، هل يقظةٌ بعد رقدةٍ   وهل من شعاعٍ بين تلك الغياهبِ
فـوالله ما أدري، ولليـأس هبّـةٌ   أُنادي (أميناً) أمْ أهيب (براغبِ)(١)

٢٧ - ٣ - ١٩٣٥

(*) موضوع هذه القصيدة هو هجرة اليهود الى فلسطين بموافقة الحكومة البريطانية المنتدبة وبالطرق غير المشروعة .

(١) الاشارة الى سماحة الحاج أمين الحسيني وإلى راغب باشا النشاشيبي رحمهما الله ، وكانا زعيمي الحزبين المتزاحمين في فلسطين .

نِعمَة . . !(*)

يقولون في بـيروت : أنتم بنعمةٍ تبيعونهم تُرْباً ، فيعطونكم تـبرا
شقيقتَنـا مهلاً ! متى كـان نعمةً هلاكُ أُلوف الناس في واحدٍ أثرى
وبـاذلُ هـذا المـال يعلم أنّـه يسلِّم بـاليمنى الى يـده اليسرى
على أنها أوطاننا . . ما كنوزُهم؟ وأموالُهم؟ حتى تُساوَى بها قَدْرا
ولو كان قومي أهلَ بأسٍ ونخوةٍ إذنْ أصبحتْ للطامعين بها قـبرا
ولكنهم قد آثروا السهـلَ مركبـاً نسـيِّره الأهواءُ واجتنبـوا الوعـرا
ومـا حسرتي إلاّ عـلى متعفّفٍ يقوم (لوجه الله) بالنهضة الكبرى

١١ ـ ٤ ـ ١٩٣٥

(*) كان اليهود الصهاينة يشترون الأراضي في فلسطين بأسعار عالية ، دون ان يفطن العرب في فلسطين وفي الأقطار المجاورة الى أنهم إنما كانوا يبيعون وطناً لا أرضاً . وكان في بيروت من يحسد أهل فلسطين على ذلك الثراء الزائف .

أيتها الحكومة(*)

علام احتراسُكِ ؟ لا أعلمُ .. وفيم احتشادُكِ ؟ لا أفهمُ ..
وهل في فلسطين ما ترهبين سوى أنه اجتمع الموسمُ :
جوادٌ براكبه عاثرٌ .. وأين له الفارس المُعْلَمُ ؟ .
وسيف بحامله ساخرٌ .. وأين له الكفُّ والمِعْصَمُ ؟ .
وهذا بتهديده يدَّعي وذاك بتنديده يَزْعَمُ ..
معازيلُ إلا من العنعنات مشاغيلُ عن كل ما يُكْرِمُ
مظاهرُ ، ليس بِها ما يُخيف ولكنما خاف مَنْ يَظْلِمُ ..

٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٣٥

(*) يقيم المسلمون في القدس كل عام في عيد الفصح موسماً يسمى (موسم النبي موسى) تحضره الجماهير من المدن والقرى المجاورة . وكانت الحكومة المنتدبة تحتاط لهذا الموسم وتحشد له قوى الأمن خشية وقوع اصطدام بين الجموع العربية واليهود .

رثاء الشيخ سعيد الكرمي(*)

أيها الموت ، أيّ مجلس أنسٍ ووقارٍ عَطّلْتَ بعد سعيدِ
أدبٌ كالرياض في الحسن والطيب قريبٌ جناه للمستفيدِ
وكأني بعلمه البحر عمقاً واتساعاً، تغشاه عذب الورودِ
ونفوس الجلاّس تأنف ، إلاّ عنده ، أن تكون رهن القيودِ
بغزير من علمه ومفيدٍ وقريب من حفظه وبعيد
وغريبٍ من أنسه وعجيبٍ وطريفٍ من ظرفه وتليد
جامع الفضل في الرواية والشعر الى الأصمعيّ طبع الوليدِ(١)
سلف صالح ، بقية قومٍ بارك الله عهدهم في العهودِ
عرفوا الخير ، أكرموا فاعليه جهلوا اللؤم جهلهم للجحودِ
وإذا ما تجرَّدوا لعداءٍ وقفوا بالعداء عند حدودِ . .
ليت قومي تخلّقوا بكريم الخلق هذا ، عند الخصام الشديدِ

(*) هو المرحوم الشيخ سعيد الكرمي قاضي قضاة إمارة شرق الأردن ومن زعماء فلسطين ، وقد حكم عليه السفاح جمال باشا بالإعدام بعد أن ثبت عليه العمل لمصلحة القضية العربية ثم خفض حكم الاعدام الى السجن المؤبد وبقي رحمه الله مسجوناً في سجن دمشق حتى زوال الحكم العثماني عن البلاد . هذا وكان المرحوم الشيخ سعيد الكرمي من أدباء فلسطين المعروفين وكان راوية للشعر .

(١) الوليد هو الشاعر البحتري المشهور .

مـا أشـدَّ افتقـارنـا لسمـوّ الخلق في هـذه الليـالي الـسـودِ
مـا لكم بعضكم يمـزق بعضـاً أفـرغتم من العـدوّ اللدود ؟[1]
اذهبـوا في البلاد طـولاً وعرضـاً وانظروا ما لخصمكم من جهودِ
والَمسـوا باليـدين صرحـاً منيعـاً شـاد أركـانـه بعـزم وطيـدِ
شـاده فـوق مجـدكم ، وبنـاه مشمخـراً عـلى رفـات الجـدودِ
كـل هذا استفـاده بـين فـوضى وشـقـاق ، وذلـة ، وهـجـودِ
واشتغـالٍ بـالـتُّرَّهـاتِ وحبِّ الـذات عن نـافـع عميم مجيـدِ
شـهـد الله أن تـلك حـيـاة فُضِّلَتْ فـوقها حيـاة العبيـدِ
أصبـح المـوت نعمـةً يُحْسَـدُ المَيْتُ عليهـا مـوسّـداً في الصعيـدِ
وسعيـد من نال مثـل (سعيدٍ) بـعـد دار الفـنـاء دار الخـلودِ
فهنيئـاً لـك النـعيـم مقيـماً أنت فيـه جـارُ العـزيـز الحميـدِ

٣٠ ـ ٤ ـ ١٩٣٥

(١) كانت النعرات الحزبية في فلسطين حينذاك على أشدها .

القــدس(*)

دار الزعامـة والأحزاب كـان لنا ... قضيـةٌ فيـك، ضيّعنـا أمـانيهــا
هل تذكرين وقد جاءتكِ نـاشئةً ... غنيــةً دونها الأرواحُ تَـفْــديهــا
تَـوَدُّ لو وَجَـدَتْ يومـاً أخـا ثقـةٍ ... لـديـكِ يُـوسِعُهـا بِـرّاً ويحميهـا
ما كان كفؤاً عفيفَ النفسِ كافلُها ... ولا أبيّــاً حميَّ الأنـف راعيـهــا
ولا أفادتْ سوى الأحقاد تُضرمها ... فوق البلاد (زعاماتٌ) وتذكيها
ولم تبـالِ بمـا تلقي لهـا حـطبـاً ... ولا بـأيّ كـرام النـاس تـرميهـا
قضيـةٌ نبـذوهــا بعـدمــا قُتِلَتْ ... مـا ضرَّ لو فتحـوا قبراً يـواريهـا

١٠ ـ ٥ ـ ١٩٣٥

(*) بمناسبة التطاحن الحزبي الذي تفشى في فلسطين حينذاك . وكانت القدس ، بوصفها عاصمة البلاد ، مركز ذلك التطاحن .

شريعة الاستقلال

يـومٌ بـداجيـة الـزَّمـان ضيـاءُ ... وبَهـاؤه لـلخـافـقـيْـن بهـاءُ
يُـزجي النسيمَ به هجيرٌ لافـحٌ ... عجبـاً !! وتبسط ظلَّه الصحراءُ
ويـرفُّ من شظف المعيشـة لينها ... ويسيـل من وهج السَّراب المـاءُ
وإذا الرشادُ من الضلالة والعمى ... ومن الشـقـاق تـآلف وإخـاءُ
وإذا من الفـوضى نـظام معجـز ... وقـيـادة وسـيـادة ودهـاءُ
وإذا الخيام قصور أملاك الورى ... وإذا القفـار دمشق والـزوراءُ
وعـلى ربـوع الصـين كـبّر فيلقٌ ... وبـأرض قسطنـطين رفَّ لـواءُ
تلك الخـوارق إن طلبت أدلـةً ... ثـبـتَ الـبراقُ بهـنَّ والاسراءُ
نـزل الكتاب عـلى النبيِّ محمـدٍ ... ما يصنع الخطباءُ والشعـراء !!
لـو لم يكن وحيَ السـماءِ ونـورَه ... لمحتـه عـارضـةٌ لـه وذكـاءُ
سَحَرَ القلوبَ فراح يقذفها عـلى ... نـار الجهـاد اولئـك البسـلاءُ
هيهات ما نكصوا على أعقـابهم ... حتى انجلت عنهم وهم شهـداءُ
حـريّـةٌ آيُ الكتـاب وسـؤددٌ ... وعـزيمـة وكـرامـة وإبـاءُ

*

نـاديت قومي لا أُخصِّصُ مسلماً ... أبنـاء يعرب في الخـطوب سـواءُ
ان الكتـابَ شريعةُ استقـلالكم ... فتـدبَّـروه وأنتـم الخلفـاءُ . . .

١٦ ـ ٦ ـ ١٩٣٥

إلى الممرضة الروسيّة[1] . .

يـا حلوة العينين يـا قـاسيـهْ　　سرعـان ما أصبحت لي نـاسيـهْ
أمـا أنـا فـلـست أنسى يـداً　　نـاعـمـةً تجـود بـالعـافيـهْ
لئن شفى الـطب ضنىً عارضـاً　　فـمهـجتي أنـت لها شـافيـهْ
وإبـرة الآسي عـلى نـفـعـهـا　　أفعـل منهـا نـظرةٌ سـاجيـهْ
تـبعـثهـا عـينـاكِ في أضـلعي　　فـيـاضـةً بعـطـفـهـا ، آسيـهْ
تـلأم قلبـاً نَكَـأَتْ جـرحَـه　　فـعـاد يهـوَى مـرة ثـانيـهْ
وتـطفىء النـار التي حُـرِّكَتْ　　فـأرجـعتـهـا زفـرةٌ حـاميـهْ

قـيصرة الحـسن ألا اشـتـكـي　　إليـك من جـورك يـا طاغيـه
هـل كـان نسيـانـك لي هفـوةً　　ام خـطّة أشْراكُـهـا خـافيـهْ
سيـدتي ، ذنبـك مهـما يكـن　　تغفـره أعـذارك الواهيـهْ . . .

حزيران ١٩٣٥

(١) اسمها كاترين، وكانت بنابلس ، تتولى معالجة ابراهيم حين كان يتردد على الطبيب هنالك بسبب قرحة في معدته .

رثاء أبي المكارم
عبد المحسن الكاظمي

سَلْ جنة الشعر ما ألوى بدوحتها حتى خلت من ظلال الحسن والـطِيب
ومن تصدَّى يردُّ السيلَ مزدحماً لمـا تحدَّر من شمّ الأهـاضيبِ
ومن أغار على تلك الخيام ضحىً يبيح تقويضهـا من بعد تـطنيبِ
هي المنيـة مـا تنفـكّ سـالبـةً فـما تغـادر حيّـاً غـير مسلوبِ
حقُّ العروبة ان تأسى لشاعـرها وتذرف الدمـع منهلاً بمسكـوبِ
وترسل الـزفرة الحـرّى مصدّعـة ضلوع كل عميد القلب مكروبِ
من للقريض عريقـاً في عروبتـه يأتي بسحرين من معنى وتركيبِ
ومن لغـرّ القـوافي وهي مشرقـة « كأوجـه البدويات الرَّعابيب »
(أبا المكارم) قم في الحفل مرتجلاً مهذَّباتـك لم تصقل بتهـذيبِ[1]
وأضْرِم النـارَ ان القومَ هـامـدة قلوبُهمْ ، ذلَّ قلبٌ غير مشبوبِ
وانفـخ إباءَك في آنـافهم غضبـاً فقـد تُحَـرِّكُ أصنـامَ المحـاريبِ
تمكن الذّلّ من قومي فلا عجب ألاَّ يبـالـوا بتقـريـع وتـأنيبِ
ما أشرفَ العُذْرَ لو أن الوغى نثرتْ أشْلاءَهم بين مطعون ومضروبِ
لكن دهتهم أساليب العداة وهم ساهون لاهون عن تلك الأساليبِ

---

(١) كان الشاعر الكاظمي ـ رحمه الله ـ يرتجل الشعر ارتجالا كلما عنّ له .

ويـقنعــون بمـبــذولٍ يـلوِّحـهُ مستعمروهـــم بتبعيـد وتقريـبِ
كـأنهم لم يُـشيَّــدْ مجـد أولهـم على السيوف وأطـراف الأنابيبِ
يا رائداً كلَّ أرض أهلها عـربٌ يجتازها نِضْـو تصعيد وتصـويبِ
ومنشـداً عنـدهم علماً ومعـرفـةً بحــالهم بـين إدلاج وتــأويبِ
هل جئْتَ منهم أُناساً عيشهم رغدٌ أم هل نزلت بقطر غير منكوبِ
أم أيّ راعٍ بــلا ذئبٍ يجــاوره إن لم تجد راعياً شراً من الذيبِ

تبــوّأ الكـاظميُّ الخلدَ منــزلـةً يلقى من الله فيها خيرَ تـرحيبِ
(أبا المكارم) أشْرِف من علاك وقلْ أرى فلسطين أم دنيا الأعاجيبِ
وانظر الينا وسرِّح في الحمى بصراً عن الهدى لم يكن يوماً بمحجوبِ
تجد قويـاً وفى وعدَ الـدخيل ولم يكن لنـا منه إلا وعـد عرقـوبِ
ومـرَّ سبـع وعشر في البـلاد لـه وحكمـه مَزْج تـرهيب وتـرغيبِ
قـد تنتهي هذه الـدنيا وفي يـده مصـيرنا رهن تـدريب وتجـريبِ
حال أرى شرَّها في الناس منتشراً وخيرَهــا للمطايــا والمحـاسيبِ

هل في فلسطين بعد البؤس من دعةٍ أم للزمـان ابتسام بعـد تقـطيبِ
كم حقق العزم والاعجال من أملٍ وخـاب قصد بـإمهـالٍ وتقليبِ

١٧ - ٦ - ١٩٣٥

ناشدتكِ الإسلام
إلى فوز . . [1]

يا (فَوْزُ) ويْلي منكِ يا قاسيهْ   عــذَّبتني ظُلماً، كفى ما بيهْ
أراكِ في اليوم ثلاثاً ولا   أنالُ إلَّا النَّظرةَ الجافيهْ
والله لو تدرين ما قصتي   ما كنتِ عن حالي إذنْ راضيهْ
بل كنت لي عوناً على غربتي   وكنتِ لي راحمةً آسيهْ
مرضْتِ أيّاماً ولمْ تطلُعي   ظللتُ فيها مهجتي داميهْ
أسأل عنكِ النّاسَ مستخبراً   ولهانَ أدعو لكِ بالعافيهْ
حتَّى إذا أبللتِ يا منيتي   خفّفَ عنّي الله بلوائيهْ
بشراكَ يا قلبي فقد أصبحتْ   تغدو الى مَلْعبِها ثانيهْ
مليكةٌ ما بين أترابها   يا ليتني كنتُ مع الحاشيهْ
يا وردةً ترسلُ انوارَها   فيْضاً على الكونْ من الرابيهْ
يا ربّةَ المنديل مِنْ تحتِه   نَبْعَةُ حسنٍ ثَرَّةٌ صافيهْ
ناشدتُك الاسلامَ لا تقتلي   أخاك في دينِكِ يا قاسيهْ

تموز ١٩٣٥

---

(١) يرجح الدكتور عمر فروخ (شاعران معاصران : ٩٧) ان تكون إحدى المصطافات في بحمدون لأن المقطوعة نشرت في ٧ تموز ١٩٣٥ ، وكان ابراهيم حينئذ في بحمدون .

إلى ذات السِّوار

هـبـيـني لا اسـمـيـكِ   ولا أظـهـر حُـبّـيـكِ
وتُـلقى بـيـنـنـا الحـجـب فـأحـيـا لا أُلاقـيـكِ
هبي مـا شئتِ ؛ ان القلب مـا انفـكَّ يـنـاجيـكِ
ويـرتـاح الى النجـوى   وفي الـنجـوى يحـييـكِ
ويطغى الليـلُ والشـوقُ   فـيـدعـوك ويـبـكـيـكِ
ويستـأنـس بـالصبـح   لِمَـا يـرويـه عن فيـكِ

١٩٣٥

مرابع الخلود(*)
توطئــة

لمـا انجلتْ من حُجُب الـزَّمـانِ   مــرابــعُ الخـلـود والمـغــانــي
ضاق على النفسِ الكيانُ الفاني   وعــالمٌ يَــغَصُّ بــالأشــجــانِ
ويفجعُ القلوبَ بالأماني

لاحَ لهــا من الخلود مـا استــترْ   وامتلك السَّمــعَ عليهـا والبصرْ
وامتزجتْ مع النسيمِ في السَّحَرْ   وارتفعتْ عــلى أشِعّــةِ القمــرْ
شفّافةً عُلْويةَ الألحانِ

ولم يَــطُلْ بهـا المــدى حتى دنـا   أبعـدُ مـا تـرجـوه من غُـرِّ المنى
هنــا هيـاكــلُ الخلودِ ، وهنــا   كلُّ عظيمِ القـدْرِ وضّاح السَّنـا
فانطلقتْ مُرْسَلَةَ العِنانِ

(*) ألقيت في حفلة الذكرى الألفية للمتنبي وهي الحفلة التي أقامتها جمعية العروة الوثقى في الجامعة الاميركية ببيروت في ٣١ أيار سنة ١٩٣٥ . وكان خطباء الحفلة الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، الاستاذ معروف الرصافي ، الاستاذ سامي الكيالي ، الاستاذ شفيق جبري ، الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، الاستاذ انيس الخوري المقدسي .

الخالــدون

طـافتْ عـلى الملوكِ والقيـاصـرهْ   فـانْقَلَبَتْ تقـولُ وهي سـاخِـرَهْ
أضخمكم أسـطورة أو نـادرهْ   وإنمـا الخـلـود لـلعـبـاقِـره
جبابر النفوسِ والأذهانِ

لـلأنـبيـاءِ أرفـعُ المـقـامِ   يُحَـفُّ بـالجـلال والاكـرامِ
وعـنـدهـم روائـعُ الالهـام   فيها الهـدى والنُّـورُ لـلأنـامِ
وغايةُ الكمالِ في الايمانِ

والشهـداءُ بعـدهم في المـرتبَـهْ   أهـلُ الفدى في الأممِ المعـذَّبَـهْ
صَبَّ الشـهيـد دمَـهُ وقـرَّبَـهْ   يقـولُ : إنَّ المهـجَ المخضَّبَـهْ
أدفع للضَّيْمِ عن الأوطانِ

واجتمـع السِّحْـرُ الى الفتـونِ   بـين رُبى الخـلودِ والـعـيـونِ
قـرائحٌ من جـوهـرٍ مكنـونِ   تَـشِـعُّ بـالعـلـومِ والفـنـونِ
وتغمرُ العالمَ بالاحسانِ

أولئك الـشـمـوسُ والـبـدورُ   دائـمـة الاشراقِ لا تـغـورُ
أفـلاكها ، مـا كرَّت الـدهورُ ،   الحـبُّ والجـمـالُ والـسـرورُ
والخيرُ والحكمةُ في الانسانِ

في حضرة المتنبي

أصغَيْتُ للنفس تقولُ : ما ليَهْ   طوَّفْتُ في الخلود كلَّ ناحيَهْ
فما وجدتُ مثلَ تلك الرابيَهْ   مشرفةً على الوجودِ عاليَهْ
عاتيةً وطيدةَ الأركانِ

رأيت ظِلاً شاملاً ظليلا   يضُمُّ صَرْحاً ماثِلاً جليلا
فارتدَّ طرفي عنهما كليلا   اذا طلبتُ لهما تمثيلا
« فالحدَثُ الحمراءُ » في « بوَّانِ »

رأيتُ بيضاً يعتنقْنَ سُمْرا   هُنَّ النُّجومُ يأتلِقْنَ زُهْرا
في يد كلِّ فارسٍ أغَرَّا   يلتمسُ المجدَ الأثيلَ قَسْرا
والمجدُ لن يكونَ للجبانِ

رأيت غيداً من أعاريبِ الفلا   حُمْرَ الجلابيبِ غرائبَ الحلى
خُلِقْنَ من حُسْنٍ وفتنةٍ فلا   تَطْرِيَةً ترى ولا تجمُّلا
وهكذا فلتكن الغواني

ذاك الذي وقفْنَ عن جنبيْهِ   خِلْتُ ملوكَ الأرض في بُرْدَيْهِ
أو الأنامَ تحت أخْمَصَيْهِ   قِيلَ اسْجدي خاشعةً لديْهِ
(فالمتنبي) سيِّدُ المكانِ

إن كنتِ ممّنْ يصحَبُ الكتابا   ويألفُ الطِّعَانَ والضِّرابا

ويهجرُ النديمَ والشرابا   جئتِ أعزَّ خالدٍ جَنابا
وفزتِ بالاكرام والأمانِ

نَكَسْتُ رأسي ودنوتُ أعْثُرُ   فأين كسرى هيبةً وقيصرُ
بين يدَيْهِ أسدٌ غَضَنْفَرُ   عليه من ضربةِ سَوْطٍ أثرُ
يُغْني « ابنَ عمَّارٍ » عن البيانِ

كافور خالد ! ؟

ومُضحِكٌ مُشقَّقُ الكعبيْنِ   أسْوَدُ، لابيٌّ، بمشفريْنِ
عهدْتُهُ يُشَدُّ بالأُذْنَينِ   وقَدْرُهُ يُرَدُّ بالفِلْسَيْنِ
يومَ تَرُوجُ سِلْعَةُ الخِصْيانِ

كان لمصرَ سُبَّةً وعارا   يومَ أثارَ الشاعرَ الجبّارا
لم أدرِ هل كان الهجاءُ نارا   أم عاصفاً هُيّجَ أمْ تيّارا
أمْ شُقَّ ذاكَ الصَّدرُ عن بركانِ

والحسد خالد ؟!

وَثَمَّ وحشٌ فمُهُ دامي الزَّبَدْ   في جيدِهِ حَبْلٌ غليظٌ من مَسَدْ
قلتُ : ألا أسْألُ ما هذا الجسَدْ؟   قال: بلى؛ هذا غريمنا الحسَدْ.
مُرْتَبِكُ الأخْلاطِ في شيْطانِ

رأيتُـهُ يـطْمِسُ عينيْـه العَمى سـعـيرُ قلبِـه طغى عـليـهـما
قلتُ : وهـذا خالـد ايضاً؟ فـما أعجبَ أنْ يبقـى الأذى ويسـلما
وينعمَ الشرُّ بعُمرٍ ثانِ !!

تـبسَّـمَ الـشــاعــرُ ، ثُـمَّ ردَّدا في الـوحشِ نظرةً كـأنّها الرَّدى
قـال : لئن نَكَّدَ عيشي بـالعدى حتى دعـوتُ ولـدي (مُحَسَّـدا)
فإنّه خُلِّدَ في الهوانِ

تقـدَّمي ، يـا نفسُ ، واسـأليني عـن أثـر المفتـاحِ في جبـيني
بـدَّلـنـي بـكـيـدِه الـلَّعـيـنِ ذُلَّ الـوِجـار من حِمى العـرينِ
حمى الملوكِ من (بني حمدانِ)

ومـا ابْتـلى الحسـودُ إلا جَـوْهـرا يـتـمُّ نـوراً ويـطـيـبُ عُـنْصرا
والفضـلُ لا بدَّ لـه أنْ يـظهـرا تُحـدِّث الأعْصرُ عنـه الأعْصرا
وللحسودِ غمْرَةُ النِّسْيانِ .

*

خاتمـــة

عودي إلى دنياكِ ، دنيـا العَرَبِ بـجـذوَةٍ تُـضْـرِمُ رُوحَ الأدبِ
وتغمــرُ الشــرقَ بهــذا اللَّهبِ قــد يستـردُّ الحقَّ بعضُ الكتبِ
وقد يكونُ المجدُ في ديوانِ

١٩٣٥

رثاء أديب منصور(*)

عــرفتُ (أديبــاً) فــأجبتــه　　وسرعـان ما غـاب هذا الحبيبْ
ويــا لهـفي ، الآن كــلّمتــه　　وفي لحـظةٍ بـات لا يستجيـبْ
ويــا حسرتي لـلرَّدى ، مــزَّقتْ　　يــداه رداءَ الشبـاب الـقشيبْ
وكــان نضيــراً عــلى منكبيــه　　فــأصبح منــه سليباً خضيبْ
دعــانــي الـبكـاء فـلبّيـتــه　　جـزوعـاً عليــه بـدمــع صبيبْ
وسِــرْتُ بمــوكبــه خــاشعــاً　　أُشيِّعــه بيـن حفـلٍ مـهيبْ
تُـفيـضُ أكـاليـلهُ طـيبهــا　　ودون شـمائـله كـلُّ طـيـبْ
وعـدت عن القبر في العـائدين　　أمــامي نحيبٌ وخلفي نـحيـبْ
وفي كــل نــفسٍ لــه لــوعــة　　وفي كـل قـلب عـليـه لهيـبْ
عـرفت (أديباً) حميـد الخصال　　وأحببتُ فيــه الــذكيَّ اللبيـبْ
وروحاً على القلب مثـل النسيم　　يهـبُّ فينعش قـلب الـكئيـبْ
وكــان قــريــراً بــآمــالــه　　فــأدعــو لــه الله ألاَّ تخيــبْ
وكــان يــراهــا بعــين الأريب　　ولكنَّ للدهــر عــينَ الــرقيبْ

(*) كان أديب منصور من موظفي محطة الاذاعة في القدس وكان يعمل مع ابراهيم . وفي أحد الأيام وضع مجرمون من الارهابيين اليهود قنبلة موقوتة في مكاتب الاذاعة فانفجرت القنبلة مودية بحياة أديب منصور . فرثاه ابراهيم بهذه القصيدة وألقاها في حفلة الأربعين التي أقيمت في جمعية الشبان المسيحية في القدس تخليداً لذكرى أديب رحمه الله .

ويكلأها بالنشاط العجيب وللدهر في النّاس شأن عجيبْ
تناول ذاك الفؤادَ الخصيب فأصبح وهو الفؤاد الجديبْ
وحطّم بنيانَ آماله بكفّيْ لئيمٍ خؤون رهيبْ

عزاءً لكم ، أيها الأقربون جميلاً لنا فيه أوفى نصيبْ
لئن باعدت رحمٌ بيننا لقد كان فينا الحبيب القريبْ
بنا ما بكمْ من غليل الأسى بقلب ألحَّ عليه الوجيبْ
ومرَّ بنا يومه (الأربعون) يجدِّد لي ذكر يوم عصيبْ
فقدتُ فتىً كان في أسرتي ملاذ القريب وعوْن الغريبْ[1]
أبيّاً على الضيم ، عَفَّ اليدين، نقيَّ السَّريرة مما يريبْ
فذاك ابن عمٍ ، وهذا صديق وذاك (عفيف)، وهذا (أديبْ)

١١ أيلول ١٩٣٩

---

(١) الاشارة الى ابن العم عفيف طوقان مهندس لواء القدس رحمه الله ، وقد قتل بسبب انفجار لغم ارضي تحت سيارته وهو مسافر على طريق بيت جبرين في لواء الخليل .

بلا عنــوان . . !

لم تــزل تهجرني منــذ سنــين   ليتـني أنعـم يــومــاً بــرضــاكْ

كـنـتُ في روضٍ أنـيـق فـإذا   بـحبيبـيــن من الـطير هنـاكْ
إن همــا طـارا يكــونـان معــاً   ومــعــاً لـفَّـهـما دوح الأراكْ
ليتنــا يــا هــاجــري مثلهـــما   في تعـاطينا الهـوى ، لكن أراكْ

لم تــزل تهجرني منــذ سنــينْ   ليتـني أنعـمُ يــومــاً بــرضــاكْ

ههنا   نــرجــســةٌ قـبَّـلهــا   عـاشق هـام بهــا يُـدعى نسيمْ
مـنحتــه طيبهــا يـشفي بــه   كـلَّ ذي قلب من الهجر سقيمْ
ليتنــا يــا هــاجــري مثلهـــما   في تسـاقينـا الهـوى، لكن أراكْ

لم تــزل تهجرني منــذ سنــينْ   ليتـني أنعـمُ يــومــاً بــرضــاكْ

في ظـلام الليّـل لاحت نجمــةٌ   وهفــا نجـم اليـهــا مُـطْرِقــا
يــا حـبيـب الــروح هــا إنّهما   في عتــاب وانقضى ، فــاعتنقــا
ليتنــا يــا هــاجــري مثلهـــما   في تشـاكينـا الهـوى، لكن أراكْ

لم تــزل تهجرني منــذ سنــينْ   ليتـني أنعـم يــومــاً بــرضــاكْ

شمـل الكونَ الـرضى حتى غدا وهــو طـيـب وجمــال وصـفــا
يا مَلولَ القلب ما في الكون مِنْ عــاشـقــين اثنــين إلاَّ ائـتلفـا
فمتى يا هاجري منك الـرضى؟ ومتى يصفـو الهـوى؟ لكن أراكْ
لم تــزل تهجـرني منــذ سنــين ليتـني أنعـم يــومــاً بــرضــاكْ

١٩٤٠

قصائد ومقطعات
غير مؤرخة

اقتباسات من القرآن[1]

- ١ -

مسهدون وهم حيرى محاجرهم   تنوطها بنجوم الليل أسبابُ
ان يخبُ للحب في اكبادهم قبس   سقتهمُ من شراب المهل اكواب
وكيف يبغون عن نار الهوى حولاً   (وعندهم قاصرات الطرف اتراب)

- ٢ -

أنا بالرحمن من حورٍ يكسرن جفونا
دارجات كحمام الايك يبهرن العيونا
قلت من هنّ وقَوْلي كان جهلاً وجنونا
فانبرت منهن حسناء فأذكتني شجونا
وأجابتني ولم أدرِ أجدّاً أم مجُونا
نحن من سُمناك وجداً (وفتنّاك فتونا)

(١) أرجح أنها مما نظم سنة ١٩٢٩ .

- ٣ -

كبدي من فراقها بين بينا فمتى موعدُ اللقاء وأينا
ربّ طير مهاجر غاب عنا شاقه وكره فعاد الينا
كنت تبكين لو رأيت بكائي وقديماً أبكى جميلَ بثينا
غير اني ألفت همي وغمّي (فكلي واشربي وقري عينا)

عتاب الى شعراء مصر[1]

روضنا من رياضكم فينان وثرانا من نيلكم ريانُ
وهوانا ـ لو تقدرون هوانا ـ كلُّ قلب منه لكم ملآن
وبرغم العدا اواصر قربانا وثاق لم تبلها الازمان
وعيون يقظى روانٍ اليكم دمعها في مصابكم لا يصان
ان سررتم ففي فلسطين عيد او حزنتم لم تَعْدُها الاحزان
قد رأوا بالقناة ان يقطعونا فإذا الدين جسرها واللسان
وإذا بالقلوب تهفو على النيلَ ظِماء يودي بها الخفقان
أحسن الله وردكم ، هل يُغيض النيلَ كاسٌ يحيا بها ظمآن
جئتكم عاتباً بلابلَ مصر : بلبل الروض عتبه ألحان
رفرف الشعر فوقكم بجناحيه وفي ساحكم غذاه البيان
وتسامى صرح العروبة في مصرَ وهل غيركم له اركان
كم بلاد تهزكم ليس فيها لكمُ جيرة ولا إخوان
خطبنا لا يهز (شوقي) ولكن جاء روما فهزه الرومان
خطبنا لا يهز حافظ ابراهيم لكنْ تهزه اليابان
ما لمطران يا فلسطين شأن بك لكن له بنيرونَ شان

---

(١) الأرجح أنها قيلت سنة ١٩٢٩ .

سيقولون قدست هذه الارض فما ان لنا بها شيطان
بل فلسطين بالشياطين ملأى ضجتِ الانس منهم والجان
ان بلوتم منهم فريقاً فانا قد رمانا باثنين هذا الزمان
فإذا المال فات ذاك فهذا قَرِمٌ لا تفوته الابدانُ

سيقولون : رب اخوان صدق لك في مصر بينهم اضغان
قطعوا الوحيَ بالتقاطع عنا ان هذا جزاؤه الحرمان
تلك شكوى تروعني كيف صاروا فعساها ذكرى لهم كيف كانوا

ما لك والذكريات[1]

ما لك والذكريات تذعرها ... تثير مكنونها وتنشرها
موؤدة في الشجون ادفنها ... وفي زوايا السنين اذخرها
اذهل عنها وربما ذهلت ... عني وقد جئت بي تذكّرها
يا مسعرَ النار كيف اطفئها ... - سامحك الله - حين تسعرها
اما تراني يدي على كبدي ... أكاد من زفرة أُطيِّرها

يا ربّ نفس لله مسلمة ... قام نبيّ الهوى ينصّرها
أعيا على الدهر غمز جانبها ... ما بال غمز العيون يقهرها
كلّفتها السير والسرى شغفاً ... ألذّ حال الغرام أخطرها
خلّفتُ بيروت منعماً طلباً ... للكرمليات حيث (عِزْوَرُها)
بلغتها والظلام مشتمل ... على البرايا والنوم يسكرها
ألتمسُ الباب لا أفوز به ... اطوف بالدار لست ابصرها
حتى هداني وميضُ سارية ... اعقبه قاصف يفجّرها
سعيت للباب ثمّ أطرقه ... اقفاله الصلب لو اكسّرها

---

(١) لعلها مما نظمه سنة ١٩٢٩ ، وقد وجدتها في ورقات منفصلة كتبت الصفحة الأولى منها بعد حصص الدروس لعام ١٩٣٢ ، ولعله لم يكملها .

ما تنثني نفسُ طالب وردت ظمأى ومرعى الحِمام مصدرها
وانفتح الباب عن مصلّبةٍ خيفةَ شرٍّ هناك ينذرها
قلت مسا الخير ، هل لملتجىء لديك نعمى هيهات يكفرها
قالت على الرحب! قلت هل نزلت آنسةٌ داركم تعمّرها
قالت أخوها؟ فقلت: «ذاك أنا» قالت : « أنسعى لها نخبّرها
قد أخذ النوم جفنها مللا بعد انتظار ، ترى أنشعرها؟ »
قلت : «دعيها غداً أفاجئها احلامها الغرّ لا انفّرها
اقضي رقادي في غير مضجعها اخشى اذا استيقظت اسهّرها »
قالت: «ترى الضوء؟ ذاك مضجعها كن جارها ، والصباحَ تبدرها
اراك بَرّاً بها وربّ أخٍ مغرىً بأخت له يكدّرها»!
قرابة المكر أصبحت ثقةً أعشقُ بعضِ القلوب امكَرُها
يا لك بلهاء ودّعت ومضت أثني على لطفها وأشكرها

زجراً ، وهيهات لات مزدجرٍ أيّة نفس هوجاء ازجرها
صبرَك يا نفس ، لات مصطبرٍ ما لم تكن جارتي تصبّرها
لم أدرِ حين انسللت اطلبها خطى المحبّين مَن يسيّرها
حورية في السرير راقدة ودّ رفائيل لو يصوّرها
يا معدن الحسن أنت معدنها يا جوهر الحبّ أنت جوهرها
عاطفةً جيدها موسّدة ذراعها والدموع تغمرها
والوجه والصدر باديان سوى ما انثال من فرعها يخمرها
والشوق بين الضلوع اعرفه من زفرة كالسعير تزفرها
يصيبني لفحها على كبد في بُرحِ الشوق ذاب أكثرها
وثم رمانة قد اضطربت واقتربت تربُها تحذّرها

تـقــول : اختــاه تحـتنــا لهــب   يصهــرنــا دائبـاً ويصـهــرهــا

ان انس لا انس وجهها وبــه   غبّ انتــظاري بــادٍ تحــيرهــا
ألمــح بــين الجــفــون لـؤلـؤة   فــاز بهــا النــوم وهــو يــأسرهـا
اطـبــق اهــدابها فـقــيَّـدهــا   لـولا اضـطرابٌ يكـاد ينـثرهــا

يـا معدنَ الحسن انت معـدنها   يـا جوهـر الحبّ انت جوهـرها
قيــد ذراعي غصـون بـانتهــا   آوي إلى ظــلّهــا وأهصرهــا

اناشيــد

نشيد بطل الريف[1]
عبد الكريم الخطابي

في ثنايا العجاجْ والتحام السيوفْ
بينما الجوُّ داجْ والمنايا تطوفْ
يتهادى نسيمْ فيه أزكى سلامْ
نحو (عبد الكريم) الأميرِ الهمامْ
ريفُنا غابُنا نحن فيه الأسود ريفُنا نحميهْ
كلُّنا يعجب بفتى المغرب
كلُّنا يطربُ لانتصار الأبي
أين جيش العدا إن دعا للجهادْ
أصبحوا أعبُدا بالسيوف الحدادْ
ريفُنا غابُنا نحن فيه الأسودْ ريفُنا نحميهْ
طالما استعبدوا وأذلوا الرقابْ
أيها الأيِّدُ جاءَ يوم الحسابْ
فليذوقوا الزعافْ بالظبى والأسلْ
ولَنُعَلِّ الهتافْ للأمير البطلْ
ريفُنا غابُنا نحن فيه الأسودْ ريفُنا نحميهْ

---

(١) لحنه محمد فليفل .

وداع(*)

لا تـقــل لله لــبــنــان الأشــمْ
لا تـقـل أشتــاقُ ألحــان الخضمّ
عشْ كــما أهـواك مكفــوفــاً أصمّ
يــا فــؤادي واســلُ أيــام الهــوى

هــل رأيت الـروض أيــام الخريف
ذابــلَ الأزهــار مـسلوب الحـفيـف
متــواري الحسن في الغيم الكثـيف
يــا فــؤادي أيــن أيــام الهــوى ؟

هــل رأيتَ الطير في الـروض يـدورْ
هــائــماً يبحث عن عـهــد السرورْ
مــرغـــماً ينســاق والــريــح تثــورْ
يــا فــؤاي أيــن أيــام الهــوى ؟

(*) نظمه قبيل سفر صديقه الشيخ سعيد تقي الدين مهاجراً الى جزائر الفلبين في كانون الثاني سنة ١٩٢٦ ، وقد غناه أحمد التنير وسجله على اسطوانة .

لا تسلني يا فؤادي عن هناءْ
لك في الروض وفي الطير عزاءْ
إنما العمر نعيم وشقاءْ
يا فؤادي ، وهنا ضلَّ الهوى !

٥ كانون الثاني ١٩٢٦

نشيد البراق
لحن بدوي

لنا البراق والحرَمْ   لنا الحمى، لنا العَلَمْ
ارواحنا ، اموالنا   فدى البراق والحرم

نحن الشباب المسلم   والله لا نسلّم
نموت أو نكرم   فدى البراق والحرم

دم العربي إن أبى   يجري على حدّ الظبى
وحقنا أن نغضبا   فدى البراق والحرم

شبابنا أهلَ الوفا   ألعارُ أن نوقّفا
سيروا بحق المصطفى   فدى البراق والحرم

لا تسمعوا كذب الوعود   اعداؤنا خانوا العهود
دوسوا على روس اليهود   فدى البراق والحرم

شبابنا سدّوا الصفوف   قوموا عليهم بالألوف
الله ما احلى الحتوف   فدى البراق والحرم

٢٣ اغسطس ١٩٢٩

وطني أنت لي[1]

وطـني أنت لي والخـصم راغـمُ وطــني أنــت كـل المــنى
وطــني إنـي إن تــسـلم ســالمٌ وبـك الــعـزّ لـي والهــنـا

يــا شـبــابـنــا انهضــوا آن أن نــنـهـضــا
ولـــنــعـــلِّ الـــوطــن فــلِنــعْـــمَ الــوطـــن
وانهضــوا وارفــعــوا عــالـيــا مجـدكــم خــالـداً ســامــيـا

وطني مجــده في الكــون أوحــد وطــنــي صــافــح الكــوكـبــا
وطني حسنه في الكــون مفــردُ جــنـــة ســهـــلــه والـــربــى

يــا شـبــابـنــا انهضــوا آن أن نــنـهـضــا
ولـــنــعـــلّ الـــوطــن فــلـنــعـــم الــوطـــن
وانهضــوا وارفــعــوا عــالـيــا مجـدكــم خــالـداً ســامــيـا

(١) نظمه على لحن نشيد انجليزي مطلعه :

It was Friday morn' when we set sail.

وطني حيث لي محبٌّ ينطقُ   بلساني وما أشعرُ
وطني حيث لي فؤادٌ يخفقُ   وبه رايتي تنشرُ

يا شبابنا انهضوا آن أن ننهضا
ولنعلِّ الوطن فلنعم الوطن
وانهضوا وارفعوا عاليا   مجدكم خالداً ساميا

٢٧ أيلول ١٩٢٩

فِتْيَة المغرب

فتْيــةَ المغــربِ هيّــا لـلجهــادْ   نحن أَوْلى النّـاسِ بـالأنـدلسِ
نحن أبــطالُ فتـاهــا ابنِ زيـادْ   ولهــا نُــرخصُ غــالي الأنفسِ

قِفْ على الشاطىء وانظر هل ترى   لَهَـبَ النَّـارِ وآثــارَ الـسَّـفـينْ
يَـومَ لا طـارقُ عــاد القهقـرى   لا ، ولا آبـاؤنـا أُسْــدُ العـرينْ

يـومَ لا عزمُ الجبـالِ الراسيـاتْ   مُشْبـهُ عَـزْمَ شبــابِ المغــربِ
لا ولا همــةُ بحـرِ الــظلمــاتْ   أشبهتْ هِمّــةَ جيشِ الـعــربِ

يـا فتى المغـربِ سَلْهــا مَنْ بنى   دارهــا الحمـراءَ تسمــعْ عَجَبـا
فــأعِــدْهــا لـــذويهــا وَطـنــا   تحســدُ الـدّنيــا عليـه العــربـا

نحن أهلوهــا وان هَبَّتْ صَبــا   مِــن رُبــاهــا فـعــلينــا أوَّلا
جَنَّـةُ الفردوسِ هـاتيـكَ الـرُّبى   كـيف تـبقـى لــســوانــا نُــزُلا

٢٠ تشرين الأول ١٩٢٩

نشيد فلسطين

دينـنـا حبـك يـا هـذا الـوطن   سرُّنـا فيـه سـواء والعـلن
فارِو يا تاريخ واشهد يا زمن

قـد رأينـا النـار يعلوهـا الـرمـاد
يـا فـلسـطين فقـمنـا لـلجـهـاد
ونـفضـنـا الـذلَّ عنـا والـرقـاد
ونهضـنـا نهضـة تحيـي الـبلاد

دينـنـا حبـك يـا هـذا الـوطن   سرُّنـا فيـه سـواء والعـلن
فارِو يا تاريخ واشهد يا زمن

المسـيحـي أخ لـلمسـلـم
يـا فـلسـطين بـقـلب وفـم
فـانشري حـبـهـا في الـعـلم
رمـزنـا عقـد الـثريـا في الـدم

دينـنـا حبـك يـا هـذا الـوطن   سرنـا فيـه سـواء والعـلن
فارِو يا تاريخ واشهد يا زمن

حـــرم طـــهـــره فـــادي الـــورى
وإلـيــه المـصــطـفــى لـيــلاً سرى
وكـــذا الـبـيـعـــة حيــت عـمــرا
حــبــنـــا حـــبٌّ أبى أن يـــنـــكـــرا

ديننـا حبـك يـــا هـذا الـــوطن سرنـــا فـيــه ســـواء والـعــلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

لا حمـــى مـثــل فـلســطين حمـــى
مجــدهــا ســطـر في لـــوح الـســما
أي مجـــد مـــثـــله مـــهـــما ســـما
إنـــه نـــور يضيء الأنـــجـــما

ديننـا حبـك يـــا هـذا الـــوطن سرنـــا فـيــه ســـواء والـعــلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

يـــا فـلســطين دمي وقـــفٌ عـــلى
أن تفـــوقي الـشمس مجـــداً وعـــلا
وعـــلي الـــعـــهـــد ألا أقـــبـــلا
بـــك مـــلك الأرض طرّاً بـــدلا

ديننـا حبـك يـــا هـذا الـــوطن سرنـــا فـيــه ســـواء والـعــلن
فاروِ يا تاريخ واشهد يا زمن

٢ تشرين الثاني ١٩٢٩

موطني[1]

مـوطني الجـلالُ والجمـالُ السنـاءُ والبهـاءُ في رُبـاكْ
والحيـاةُ والنجاةُ والهنـاءُ والـرجـاءُ في هـواكْ
هل أراكْ

سـالمـا مـنـعّـمـا وغـانمـاً مـكـرّمـا
هـل أراكْ في عـلاكْ
تبلغ السماكْ
موطني

مـوطني الشباب لن يكـلَّ همُّـه ان تستقـلَّ أو يبيـدْ
نستقي من الردى ولن نكون للعدى كالعبيدْ
لا نريدْ
ذلّـنـا المـؤبـدا وعـيشـنـا المـنـكـدا
لا نـريـدْ بـل نـعـيـدْ
مجدَنا التليدْ
موطني

(١) على لحن فالنسيا بتصرف ؛ ولم يذكر تاريخه ، وموضعه في المسودة قبل نشيد عبد الكريم ، وهو تلحين الأخوين محمد وأحمد فليفل .

مـوطني الحسامُ والـيراعُ لا الكـلامُ والنـزاع رمـزنـا
مجـدنـا وعهـدنـا وواجب الى الـوفـا يهـزُّنـا
عِزُّنـــا

غـــايـــةٌ تشرّف ورايـــةٌ تـــرفـــرفُ
يـــا هَـــنـــاكْ في عـــلاكْ
قاهراً عداكْ
موطني

العمل[1]

مجـدُ البــلادْ بــالشبـاب العــاملينْ
والاجتهادْ للعلى نهج مبينْ
هــبّــوا إذن واجنــوا الــثمــنْ عــز الــوطــنْ
مدى السنين

إن الـعـمـلْ يحـيـي الأمـلْ
سرُّ الـوجـودْ فـيـه نـسـودْ
في العالمين

مـا لـلكـسـولْ قـيـمـة بـين المـلا
ولا الخـمـولْ سُـلّمٌ الى الـعـلا
إن الهـمـمْ تـبـني الأمـمْ خـير الـشـيـمْ
أن نعملا

إن الـعـمـلْ يحـيـي الأمـلْ
سرُّ الـوجـودْ فـيـه نـسـودْ
في العالمينْ

---

(١) لا يعرف تاريخه .

عــزم الــشــبــابْ قــوةٌ لا تُــغــلــبُ
ولا يهــابْ أيّ هــولٍ يــركــبُ
لا يــنــثــني أو يجــتــني لــلــوطــنِ
ما يطلبُ

إن الــعــمــلْ يحــيــي الأمــلْ
سرٌّ الــوجــودْ فــيــه نــســودْ
في العالمينْ

نشيد رثاء غازي(*)

رايــةٌ روعّها خــطب عــراهــا خـفـقـتْ والهــةً فــوق ذراهــا
والصَّبــا مــرَّت بهــا نــائحــةً جـزعاً تنعى الى الـدنيـا فتـاهـا
يا رايتي تجمّلي وبعد غازي أمّلي واعتصمي بفيصلِ
أمنية المستقبلِ

كعهد غازي أشرفي على الحمى ورفرفي منيعة بفيصلِ
ريحانة المستقبلِ

يـا سليل المـرهفـات البـاتـراتْ وابن رايـات المعالي الخـالـداتْ
نَـمْ رضيَّ البـال وانـعم إنمـا عهـدنـا عهــدك عـزمٌ وثبــاتْ
نم بـالهنـا فـإننـا وراء تحقيق المنى نبني بهنَّ الـوطنـا
فيعتلي ويعتلي

ولم نَـزَلْ له الفـدا حتى ينال الفـرقدا مكـرَّمـاً مخلّدا
مؤيّداً بفيصلِ

١٩٣٩

(*) لحنه يحيى اللبابيدي رحمه الله وأذيع من محطة القدس .

أشواق الحجاز

بلادَ الحجاز اليك هفا   فؤادي وهامَ بحبّ النبي
ويا حبذا زمزمٌ والصفا   ويا طيبَ ذاك الثرى الطيّبِ

ذكرى الهادي ، والأمجادِ   ملءُ الوادي ، والأنجادِ
أثر الهممِ ، منذ القدمِ   حول الحرم ، أبداً بادِ
بلادَ الكرامِ   شموسِ الهدى
عليك سلامي   مدىً سرمدا

*

هنيئاً لمن حضر المشهدا   وطاف بكعبة ذاك الحرم
ومن قبّل الحجرَ الأسودا   وظلّله الركنُ لمّا استلم

*

بروحي ربوعُ النبي الأمين   وصحبُ النبي هداةُ الملا
ومشرقُ نور الكتاب المبين   عمادِ الحياة وركنِ العلا
ذكرى الهادي والأمجاد   ملء الوادي والأنجاد

أثر الهممِ منذ القدم حول الحرم أبداً باد
بلَا الكرامِ شموسِ الهدى
عليك سلامي مدى سرمدا

١٩٣٩

لحّنه وغنّاه حليم الرومي واذيع من هنا القدس وهو موجود

الفهـــرس

الأعمال الشعرية الكاملة

ابراهيم طوقان

... وتفيد الدراسة التطورية أن شعر ابراهيم بلغ ثلاث ذرى متعاقبة : ذروة الحب وذروة الشهوة وذروة المشكلة الوطنية . لقد كانت هذه التيارات متجاورة في نفسه ، ولكن الحب كان هو القوة العاتية منذ أن فجرته في صدره فتاة كفر كنة (١٩٢٤ ـ ١٩٣٢) ، وقد كانت الموضوعات الأخرى تقتبس من لهبه إذا شاءت أن تعيش إلى جواره ... غير أن هذا الحب تحول إلى قوة مدمرة حين اقترن بالموت ، فانحاز ابراهيم إلى إيمانه بقوة الدعابة ، وانطلق في شعر المجون ... ثم يحل عام ١٩٣٥ فيتجه شعر ابراهيم في ذروة جديدة ، هي ذروة القضية السياسية ، وفي ديوانه قطع كثيرة نظمت في ذلك العام ، إذا قرئت معاً كونت قصيدة وطنية سياسية تهكمية لاذعة تتحدث عن مشكلة الزعامة والسياسة والأحزاب في فلسطين ...

احسان عباس

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية برج الكارلتون ، ص.ب : ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي : موكيالي ، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس : LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

الغلاف : زهير أبو شايب